شبهات المستشرق دافيد سانتلّانا حول الإسلام

عرض ونقد

إعداد

دكتور / أسامة حمدي سعد السيد

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا

شبهات المستشرق دافيد سانتلّانا حول الإسلام عرض ونقد.

أسامة حمدي سعد السيد

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا، جامعة الأزهر، مصر

البريد الإلكتروني: osama.elsayed@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

لقد أولت دعوة الإسلام الرد على المخالفين وتفنيد شبهاتهم مزيد عناية واهتمام، ولا يستطيع أحد أن ينكر أن الرد على المخالفين والجواب عن شبهاتهم التي يثيرونها حول الدعوة يحتل مرتبة متقدمة في أولويات العمل الدعوي ، وإن جانباً من تلك الشبهات الموجهة إلى الدعوة الإسلامية قد حمل لواءه الخطاب الاستشراقي والذي لم تسلم كتابات أصحابه في الأعم الأغلب من الكيد للدعوة الإسلامية؛ ومن هؤلاء المستشرق الإيطالي **(دافيد سانتلّانا)**، وهو واحد من شيوخ الاستشراق الإيطالي ممن كانت لهم مكانة مرموقة نظرا لجهوده وتخصصه حيث عُنِى بدراسة الشريعة والفلسفة الإسلامية ، وقد كان سانتلانا في دراساته حريصا على تجريد التراث الإسلامي من أصالته، كما كان حريصا على التقليل من شأن علماء الإسلام ومفكريه . ومن هنا أتناول في هذا البحث أبرز شبهات هذا المستشرق مع الرد عليها بما يدحضها.

وقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وتوصلت إلى النتائج التالية:

وجه سانتلانا جهوده نحو مجال الفقه والفلسفة الإسلامية ، وقد انتهت دراساته في الجانبين إلى القول بعدم أصالة الفقه الإسلامي وكذا الفلسفة الإسلامية.

حاول سانتلّانا تغليف دراساته حول الفقه الإسلامي وكذا الفلسفة الإسلامية بطابع البحث العلمي، ومن ثمّ فقد أورد حججا تؤيد دعاواه، ولكن عند النظر يتضح أنها لا تثبت أمام النقد العلمي ، لأنها لا تستند إلى أصل صحيح.

وأقترح ما يلي: العمل على رصد الشبهات الموجهة إلى الدعوة الإسلامية ، والقيام بالرد عليها بما يدحضها.

الكلمات المفتاحية: شبهات ــ استشراق ــ الاستشراق الإيطالي ــ دافيد سانتلّانا ـ الشريعة الإسلامية – الفلسفة الإسلامية

Orientalist David Santlana's suspicions about Islam are displayed and criticized.

Osama Hamdi Saad Al , Sayed

Department of Islamic Advocacy and Culture, Faculty of Islamic Origins and Da'wa in Batanta, Al-Azhar University, Egypt

Email: osama.elsayed@azhar.edu.eg

Abstract:

The call for Islam to respond to the violators and refute their suspicions has given more attention and attention, and no one can deny that the response to the violators and the answer to their suspicions about the call rank high in the priorities of the advocacy work, and that part of those suspicions directed at the Islamic call carried his banner the orientalist discourse, which did not receive the writings of its owners mostly from the One of the elders of Italian Orientalism, who was prominent in his efforts and specialization, was concerned with the study of Islamic law and philosophy, and Santlana was keen in his studies to strip the Islamic heritage of its authenticity, and was keen to downplay Islamic scholars and intellectuals. Hence, I address in this research the most prominent suspicions of this orientalist while responding to them with a disprove.

In this study, it followed the descriptive analytical approach and reached the following conclusions:

Santlana directed his efforts towards the field of Islamic jurisprudence and philosophy, and his studies on both sides ended up saying that Islamic jurisprudence as well as Islamic philosophy were not authentic.

Santlana tried to encapsulate his studies on Islamic jurisprudence as well as Islamic philosophy with the nature of scientific research, and therefore made arguments in support of his claims, but when considering it is clear that they are not proven in front of scientific criticism, because they are not based on a valid origin.

I suggest: work to monitor suspicions of The Islamic Call and respond to it in a disproved way.

Keywords: Suspicions of The Orientalism of Italian Orientalism David Santlana Islamic Law - Islamic Philosophy

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين والعاقبةُ للمتقين، والصلاةُ والسلامُ على خاتَم النبيين، ورحمةِ الله للعالمين، وقائدِ الغر المُحجَّلين، وإمام الدعاة إلى ربِّ العالمين، سيِّدِنا ونبيِّنا وإمامِنا محمدٍ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله واهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد : فإنّ الناظر إلى دعوة الإسلام يجدها قد أولتِ الرد على المخالفين وتفنيد شبهاتهم[1] مزيد عناية واهتمام ، وقد بدا ذلك واضحاً من خلال القرآن والسنة، ففيهما بيان للحقائق وعرض للدعوة ومع ذلك فيهما رد على المخالفين ودحض لشبهاتهم وإفحام لهم ،ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم مؤكدا على أهمية رد الشبهات عن الدعوة بقوله : « **يَرِثُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَحْرِيفَ الْغَالِينَ** » [2]

---

١ – الشبهة هي كل ما يثير الشك والارتياب في صدق الداعي وأحقية ما يدعو إليه فيمنع ذلك من رؤية الحق والاستجابة له او تأخير هذه الاستجابة...والشبهات أنواع منها ما يتعلق بالداعي، ومنها ما يتعلق بموضوع الدعوة ، ومنها ما يتعلق بالمدعوين ....انظر : أصول الدعوة ، دكتور عبد الكريم زيدان ، ٤٢٦،٤٢٧، نشر مؤسسة الرسالة.

٢– الحديث أخرجه الإمام البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الشهادات، باب الرجل من أهل الفقه يسأل عن الرجل من أهل الحديث فيقول كفوا عن حديثه لأنه يغلط أو يحدث بما لم يسمع أو أنه لا يبصر الفتيا،١٠/٢٠٩،رقم ٢٠٧٠٠، نشر مكتبة دار الباز، مكة المكرمة ، ١٩٩٤م ، والبزار في مسنده ،٢٤٧/١٦ ،برقم ٩٤٢٣، نشر مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ، ٣٨/٧، نشر دار الفكر ، ==

ففي هذا البيان النبوي تأكيد على دور العلماء الثقات الصادقين والدعاة الناصحين الذين يُرجع إليهم، ويؤخذ منهم العلم، ويعتمد عليهم في القيام بتلك المهمة صيانة للدعوة وحماية لجنابها.

ويتأكد هذا الدور للعلماء في إزالة الشبهات وتفنيدها "لأنها موانع تمنع من رؤية الحق في حق ضعافِ البصر والبصيرة، كما تمنع الإحساس بالداء والحاجة الى الدواء. وتكون الإزالة بالحجة والبرهان"[1]

ومن هنا لا يستطيع أحد أن ينكر أن الرد على المخالفين والجواب عن شبهاتهم التي يثيرونها حول الدعوة يحتل مرتبة متقدمة في أولويات العمل الدعوى.

ولقد كان الرد على المخالفين، وقمع المبطلين عبر تاريخ الأمة الطويل من أولويات العلماء المصلحين، والدعاة الصادقين في سبيل نصرة الحق على الباطل ودفع الفساد، حيث انتبه هؤلاء العلماء إلى أهمية ذلك الأمر وفطنوا أنهم " إذا لم يهتموا بالنظر في الشبهات التي يثيرها الخصوم سيصاب عقلهم بالكسل والتبلد، وستغلبهم الشبهات الباطلة ، الأمر الذي يزعزع يقينهم الإيماني . . وذلك فضلاً عن تفريطهم في فريضة إقامة الدين، و تبليغ دعوته، وإقامة

==

تحقيق على شيري ، وصححه الألباني في تحقيقه على مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي ، ٥٣/١ ، نشر المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة الثالثة – ١٤٠٥هـ– ١٩٨٥م.

١– أصول الدعوة، دكتور عبد الكريم زيدان ،ص ٤٢٨.

حجتـه، وإزالـة الشـبهات عـن عقائـده وشـريعته ومبادئـه وقيمـه . . ولقـد علمنـا القـرآن الكـريم أن هـذا التـدافع الفكـري هـو السـبيل للتقـدم، وانتصـار الحق على الباطل، وحلول الصلاح محل الفساد "[١]

وفـي ضـوء هـذا الكـلام فـإن التقصـير فـي الـرد علـى المخـالفين إنمـا هـو تقصـير فـي حـق الـدعوة إلـى الله عـز وجـل، وربمـا يكـون سـبباً فـي زعزعـة الإيمـان فـي قلـوب الـبعض، وهـذا مـا يؤكـد علـى أهميـة هـذا العمـل الـدعوى وكونـه مـن الأولويـات التـي لا يجـوز إغفالهـا أو الإهمـال فيها والتقليل من شأنها .

هـذا وإن جانبـاً مـن تلـك الشـبهات الموجهـة إلـى الـدعوة الإسـلامية وتشـويه حقائقهـا لـدى المسـلمين قـد حمـل لـواءه الخطـاب الاستشـراقي ([٢]) والـذي لـم تسـلم دراسـات أصـحابه فـي الأعـم الأغلـب مـن الكيـد للـدعوة الإسـلامية؛ فلـم يتركـوا مـدخلا للانتقـاص مـن الإسـلام ولا بابـا لزعزعـة اليقـين فـي نفـوس المسـلمين إلا سـلكوه، يـدفعهم إلـى ذلـك حقـد دفين وحسد قد انطوت عليه أنفسهم.

وإن مـن كبـار المستشـرقين الـذين أثـاروا الشـبهات تجـاه التـراث الإسـلامي المستشـرق الإيطـالي **(دافيـد سـانتلّانا)**، وهـو واحـد مـن شـيوخ الاستشـراق الإيطـالي المشـهورين والمـؤثرين فـي حقـل الدراسـات

١- شبهات حول القرآن، د/ محمد عمارة، ص ٣، سلسلة في التنوير الإسلامي، رقم ٦٢، دار نهضة مصر.

٢ – الاستشراق: هو الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام ، انظر : الإسلام والاستشراق، د/ محمود زقزوق ،ص ٢٣٨ نشر دار الكتاب المصري، ، الطبعة الأولى ٢٠١٤م

الاستشراقية بصفة عامة ، وله مكانة مرموقة نظرا لجهوده الكبيرة ، ونبوغه في تخصصات عديدة حيث عُنِى بدراسة الشريعة والتصوف والفلسفة الإسلامية والتاريخ الإسلامي .

وقد كان سانتلّانا في دراساته حول الإسلام وعلومه حريصا على تجريد التراث الإسلامي من أصالته، كما كان حريصا على التقليل من شأن علماء الإسلام ومفكريه، فضلا عن نظرته الجائرة للعقلية الإسلامية بصفة عامة؛ ومن هنا أتناول في هذا البحث أبرز شبهات هذا المستشرق تحت عنوان :(**شبهات المستشرق دافيد سانتلّانا حول الإسلام عرض ونقد)**.

أسباب اختيار الموضوع:

أولاً: أن المسئولية العلمية والدعوية تقتضي الوقوف على الشبهات الموجهة تجاه الدعوة الإسلامية والعمل على كشفها وبيان زيفها.

ثانيا: أن المستشرق الإيطالي دافيد ساتنلّانا يقدم خطاباً استشراقياً مخادعاً ومراوغاً حيث يثني في دراساته على الإسلام في جانب؛ ثم ينتقصه في جانب آخر، وهو الأمر الذي جعل البعض يغتر به ويقدمه ويستشهد بكلامه على أنه من المستشرقين المنصفين(١)

ثالثا: خطورة الشبهات التي بثها هذا المستشرق حيث تنال من التراث الإسلامي ومن العقلية الإسلامية بصفة عامة.

---

١ – انظر على سبيل المثال: الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء، وإنصاف العلماء، دكتور محمد عمارة ، ص ١٤٥

منهج البحث: تطلب البحث استخدام المنهج الوصفي([1]) عرضاً وتنظيراً ثم المنهج التحليلي الذي يقوم على دراسة الإشكالات تفكيكاً أو تركيباً أو تقويماً[2]،كما لا غنى لي عن الاستفادة ببقية المناهج التي تخدم البحث.

تقسيم الدراسة: تأتي هذه الدراسة في مقدمة، وتمهيد ومبحثين وخاتمة، أما المقدمة فأتناول فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهج البحث فيه، وتقسيم الدراسة، وأما التمهيد : فأتناول فيه التعريف بالمستشرق دافيد سانتلّانا وبيان أهم آثاره في مجال الدراسات الاستشراقية

وأما المبحث الأول : شبهات سانتلّانا حول الشريعة الإسلامية،

ويشتمل على المطالب التالية :

المطلب الأول: دعوى سانتلّانا تأثير القانون الروماني في التشريع الإسلامي

المطلب الثاني : موقع دعوى سانتلّانا –حول التشريع الإسلامي– في الخطاب الاستشراقي

---

١ – المنهج الوصفي: هو المنهج الذي يقوم على استقراء المواد العلمية التي تخدم إشكالا ما أو قضية ما وعرضها عرضا مرتبا ترتيبا منهجيا، انظر: أبجديات البحث في العلوم الشرعية، د/ فريد الأنصاري ، ص٦٦ ، نشر منشورات الفرقان ، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧ م...

٢– انظر: أبجديات البحث في العلوم الشرعية، د/ فريد الأنصاري ، ص ٩٦.

المطلب الثالث: الحجج التي أسس سانتلّانا عليها دعوى تأثير القانون الروماني في التشريع الإسلامي

المطلب الرابع: نقد دعوى سانتلّانا تأثير القانون الروماني في التشريع الإسلامي

وأما المبحث الثاني : شبهات سانتلّانا حول الفلسفة والعلوم الإسلامية

ويشتمل على المطالب التالية :

المطلب الأول: ادعاءات سانتلّانا حول الفلسفة والعلوم الإسلامية

المطلب الثاني: موقع دعوى سانتلّانا – حول الفلسفة الإسلامية – في الخطاب الاستشراقي

المطلب الثالث: نقد ادعاءات سانتلّانا حول الفلسفة والعلوم الإسلامية

وأما الخاتمة فقد ضمنتها أهم النتائج التي توصل إليها البحث

التمهيد

التعريف بالمستشرق([1]) دافيد سانتلاّنا وبيان أهم آثاره في مجال الدراسات الاستشراقية :

أولا: مولده ونشأته ودراسته([2])

ولد دافيد سانتلاّنا في تونس في ٩ مايو ١٨٥٥م ، لأسرة يهودية ذات أصل أسباني قديم ، وقد ظهر نبوغه مبكرا حيث عُيِّن وهو في السادسة عشرة من عمره سكرتيرا للجنة الدولية لشئون تونس المالية.، وفي سنة ١٨٨٠م التحق سانتلاّنا بكلية الحقوق في جامعة روما ، ومنها حصل على ليسانس الحقوق.

ثانيا: أهم آثاره العلمية والمناصب التي شغلها([3])

١- وضع مشروع لقانون تونس المدني والتجاري عام ١٨٩٦م

٢- التدريس في الجامعة المصرية القديمة، حيث دُعيَ في عام ١٩١٠م ليقوم بتدريس الفلسفة الإسلامية فلبى الدعوة وقام بإلقاء محاضرات في تاريخ الفلسفة الإسلامية طوال العام الجامعي ١٩١٠- ١٩١١م.

---

١ – المستشرق بالمعنى العام: كلمة تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق في لغاته وآدابه وحضاراته وأديانه، انظر الإسلام والاستشراق، ص ٢٣٨

٢ – موسوعة المستشرقين، دكتور عبد الرحمن بدوي، ص ٣٤١، نشر دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣م

٣ – المرجع السابق، ص ٣٤٢،٣٤٣

٣- شغل كرسي الشريعة الإسلامية في كلية الحقوق بروما، وظل يشغل هذ الكرسي من عام ١٩١٣ حتى عام ١٩٢٣.

٤- وضع التشريعات الخاصة بليبيا بتكليف من وزارة المستعمرات الإيطالية

٥- تصنيف كتاب نظم الشريعة الإسلامية بحسب مذهب مالك؛ مع مراعاة أيضا لمذهب الشافعي، وقد ظهر الكتاب في جزئين لخص فيهما محاضراته التي ألقاها على طلاب كلية الحقوق في جامعة روما.

المبحث الأول: شبهات سانتلّانا حول الشريعة الإسلامية:

المطلب الأول: دعوى سانتلّانا تأثير القانون الروماني في التشريع الإسلامي.

المطلب الثاني: موقع دعوى سانتلّانا –حول التشريع الإسلامي– في الخطاب الاستشراقي.

المطلب الثالث: الحجج التي أسس سانتلّانا عليها دعوى تأثير القانون الروماني في التشريع الإسلامي.

المطلب الرابع: نقد دعوى سانتلّانا تأثير القانون الروماني في التشريع الإسلامي.

المبحث الأول

شبهات سانتلّانا حول الشريعة الإسلامية

مدخل:

لقد جاءت شريعة الإسلام بما يضمن تحقيق مصالح الإنسان ويكفل إقامة مجتمع صالح يسير على المنهج الرشيد الذي وضعه الله لعباده كي تنتظم أمور دينهم ودنياهم.

وتمثل الشريعة الإسلامية النظام الإلهي الواضح الذي وضعه الله عز وجل لعباده وأمرهم بالتزامه حتى تستقيم حياتهم وتنتظم علاقتهم به سبحانه وعلاقتهم فيما بينهم وفي كل ما يحيط بهم.

وأخص ما يميز هذه الشريعة أنها إلهية المصدر غايتها تحقيق مصالح العباد، ومن ثمَّ فهي صالحة لكل زمان ومكان، وهي ذات مضمون ينظم جوانب الحياة كلها.

وتطلق الشريعة ويراد بها الأحكام العملية بمقابل الأحكام العقدية وهذا هو الأعم الأغلب، وقد تطلق ويراد بها جميع الأحكام الشرعية عقدية كانت أو عملية والسياق هو الذي يحدد ذلك [1]

وعلى الإطلاق الأول – **وهو المراد في هذا البحث** – يتمثل جانب الشريعة في " جميع الأحكام الشرعية التي جاء بها الإسلام سواء على المستوى الشخصي والأسري، والمستوى العام؛ فيشمل ما

١– انظر المدخل إلى علم الدعوة، د/ البيانوني، ص٤٤، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة،١٩٩٥م.

يسمى بنظام العبادة ونظام المعاملة والاقتصاد، وبنظام الأحوال الشخصية ... وما إلى ذلك مما أوفت ببيانه كتب الفقه والأحكام "[1]

وعلى الرغم من ربانية شريعة الإسلام وشموليتها ومرونتها، وصلاحيتها للتطبيق إلا أن الخطاب الاستشراقي قد وجه سهامه تجاه الشريعة الإسلامية وعلم الفقه المنبثق عنها؛ فزعم أصحاب هذا الخطاب أنها غير أصيلة وادعوا استمدادها من القانون الروماني.

وفي هذا المبحث أتناول تلك القضية من خلال أعمال المستشرق دافيد سانتلّانا وهو واحدٌ ممن أثاروا تلك الشبهات، ثم أقوم ببيان الحجج التي أسس عليها شبهاته تجاه الشريعة وأختم بمناقشة تلك الحجج لإثبات زيفها وعوارها؛ وذلك من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول:

دعوى سانتلّانا تأثير القانون الروماني في التشريع الإسلامي

لم يألُ المستشرقون جهدا في مواجهة الإسلام وتجريده من كل فضيلة ونسبته إلى كل نقيصة، يهدفون من ذلك الحيلولة دون وصول صورته الحقة والناصعة إلى شعوبهم، فضلا عن تشويهه في نفوس المسلمين وزعزعة اليقين في قلوبهم.

ومن ثم كانت المواجهة مع الشريعة الإسلامية وأحكامها التي تكفل بدراستها وبيانها علم الفقه الإسلامي، وهو علم إسلامي أصيل منبثقٌ مِن الشريعة الإسلاميَّة، ويمثل الجزء العملي التفصيلي منها.

١-السابق ، ص ١٨٣.

وقد ركز المستشرقون جهودهم حول تلك القضية لأنه إن تسنى لهم النيل من مصدر الشريعة واستمدادها أصبح من اليسير عليهم هدم الشريعة بالكلية.

ولا شك أن من أخص خصائص الشريعة الإسلامية مصدريتها الربانية المؤسسة على الوحي المعصوم والذي تمثل في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ثم ما استنبطه العلماء من مصادر تدور في فلكهما كالإجماع والقياس.

وقد قسم البعض مصادر التشريع إلى مصادر أصلية هي القرآن والسنة، وإلى مصادر تبعية أرشد إليها القرآن والسنة، ولذلك يقول الدكتور عبد الكريم زيدان "المقصود بمصادر الفقه: أدلته التي يستند إليها ويقوم عليها، وإن شئت قلت: المنابع التي يستقي منها، ويسمي البعض هذه المصادر بـ " مصادر الشريعة " أو " مصادر التشريع الإسلامي "، ومهما كانت التسمية فإن مصادر الفقه ترجع كلها إلى وحي الله، قرآناً كان الوحي أو سنة، ولهذا فإننا نرجح تقسيم هذه المصادر إلى: مصادر أصلية، وهي : الكتاب والسنة . ومصادر تبعية أرشدت إليها نصوص الكتاب والسنة، كالإجماع والقياس "([1])

وقد كان من أثر دراسة تلك الأدلة والوقوف على أحكامها الشرعية ثروة تشريعية ضخمة وتراث فقهي غزير ومتنوع يعد مفخرة

١- المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، ص١٥٣، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى،٢٠٠٥م.

لأمة الإسلام ويدل بما لا يدع مجالا للشك على مرونة الفقه الإسلامي وبُعدِه عن الجفاء والجمود وقبوله لمسايرة التطورات المتلاحقة في واقع حياة الناس.

ولما كان الخطاب الاستشراقي حريصاً على تجريد الإسلام من خصائصه وفضائله فقد راع أصحاب هذا الخطاب تلك الثروة التشريعية الضخمة فزعموا أنها مؤسسة وقائمة على غيرها من القوانين السابقة على الشريعة الإسلامية؛ لا سيما القانون الروماني.

وكان ممن تولى كِبرَ تلك الدعوى من المستشرقين المستشرقُ الإيطالي "دافيد سانتلّانا" الذي ما فتئ يؤكد على أن هناك تشابها واضحا واتفاقا بين مبادئ الفقه الإسلامي والقانون الروماني ليرسخ من خلال تلك الدعوى أن المبادئ والقواعد التي قام عليها الفقه الإسلامي مستمدة من القانون الروماني كونه أسبق وجودا، وأنه إذا كان من تعارض بين الفقه الإسلامي والقانون الروماني فإنه تعارض في المنهج وليس في المبادئ المؤسسة، وأن هناك علاقة وثيقة بين آراء فقهاء الإسلام في مختلف الأمصار وبين آراء القانونيين الغربيين.

وهذا نص كلامه حيث يقول:" متى نفذ المرء في عمق الأمور دهش حين يرى ما هناك من نظائر وثيقة بين كبار الفقهاء (المسلمين) في المدينة والكوفة وقرطبة وآرائنا نحن (الأوربيين)"(١)

١ – القانون المدني والتجاري التونسي، دافيد سانتلّانا المقدمة، ص XII، تونس ١٨٩٩م.

وفي سياق تصنيفه للقانون المدني والتجاري التونسي يبحث عن قاسم مشترك ينطلق منه ويعول عليه في صياغة هذا القانون التونسي " وقد كان هذا القاسم المشترك بالنسبة له، القانون الروماني بشكل أساسي. ليؤكد سانتلّانا، مثله مثل غيره من المستعربين الأوروبيين، أن الشريعة الإسلامية نفسها مشبعة بالقانون الروماني"([1])

وبسبب هيمنة فكرة تأثير القانون الروماني في التشريع الإسلامي جاء هذا القانون الذي صاغه "سانتلّانا" لتونس مرتبا على أبواب القانون الروماني ولا ينسى "سانتلّانا" أن يبرز جانب المقارنة بين المواد التي صاغها وبين القانون الروماني ويتكلف في ذلك تكلفا شديدا لإثبات هذا التأثير.

" وقد تضمن هذا المشروع ٢٤٧٩ مادة قام سانتلّانا بصياغتها مقارنا إياها بنظائرها في القوانين الأوربية ، ومبينا في الوقت نفسه مصادرها أو علاقاتها بنظائرها في الشريعة الإسلامية بحسب مذهب مالك وهو المذهب السائد في تونس والمغرب بعامة وفي هذا العمل كشف سانتلّانا عن علم مستقصٍ دقيقٍ بالفقه الإسلامي على المذاهب الأربعة وعلى مذهب مالك بخاصة وبالقانون الروماني ...وألمح دون برهان صريح إلى إمكان أن تكون بعض قواعد الفقه الإسلامي مستمدة من القانون الروماني...وأن الخلافات بين الفقه

---

[1] - David Santillana, acteur et penseur des droits musulman et européen- Florence Renucci Monde (s) 2015/1 (N ° 7، على الرابط : #https://www.cairn.info/revue-mondes-2015-1-page-25.htm

الإسلامي والقوانين الأوربية الحديثة ترجع بالأحرى إلى خلاف في المنهج لا إلى تعارض أساسي من حيث المبادئ"([1])

وهكذا يحرص "سانتلانا" في هذا المشروع القانوني الذي صاغه على القول بتأثر الفقه الإسلامي بالقانون الروماني متغافلا عن الفوارق الجوهرية بين الفقه المؤسس على النصوص الشرعية الهادية للتي هي أقوم ؛ وبين القانون الروماني الوضعي الذي صاغه الإنسان الذي يتأثر بالزمان والمكان والظروف والأحوال المختلفة .

كما أظهر "سانتلّانا" فكرة تأثر الشريعة الإسلامية بالقوانين الرومانية في كتابه (نظم الشريعة الإسلامية بحسب مذهب مالك مع مراعاة مذهب الشافعي) والذي أكد فيه صراحة على أن " هناك تشابها قويا بين الشريعة الإسلامية على نحو مناظر إن لم يكن مساوياً للقانون الروماني"([2])

ومن أجل ترسيخه لفكرة استمداد الشريعة الإسلامية من القانون الروماني راح "سانتلّانا" في كتابه نظم الشريعة الإسلامية يرتب الفقه على حسب القانون الروماني ومبادئه ضارباً بترتيب فقهاء المسلمين عرض الحائط، وكان دافعه إلى ذلك من وجهة نظره أنه" لم يلتزم الترتيب المتبع في كتب الفقه العربية، بل رتب المادة وفقا لما رأى أنه

---

١ – موسوعة المستشرقين، ص ٣٤١، ٣٤٢

٢ – نظم الشريعة الإسلامية بحسب مذهب مالك مع مراعاة مذهب الشافعي، سانتلّانا ،1/VII–IV، روما ١٩٢٦م، نقلا عن موسوعة المستشرقين، دكتور عبد الرحمن بدوي، ص ٣٤٢

التطور المنطقي لمبادئ الفقه الإسلامي، حتى لو لم يكن هذا التطور هو ما يشير إليه كتب الفقه العربية "([1])

والذي جعل سانتلّانا يستدعي القانون الروماني ويفسر من خلاله الفقه الإسلامي ويرتبه على أبوابه هو قناعته المسبقة " واعتقاده بأن هناك وساطة مشتركة بينهما جعلته يُخضع الشريعة الإسلامية لمعيار الترتيب القانوني الروماني دون الاعتقاد بأن القانون، وهو حقيقة تاريخية، له طريقة واحدة فقط للتعبير عن نفسه"([2])

وهكذا يجعل "سانتلانا" من القانون الروماني الأصل والحق المطلق الذي يصدر من خلاله في حكمه على الفقه الإسلامي، مع أن هذا القانون حقيقة تاريخية تخضع لتغيرات الزمان والمكان والأفراد.

ولأن تلك الطريقة في تناول الفقه الإسلامي بعيدة عن المنهجية العلمية فقد أخذ عليه البعض أنه أوّل الفقه تأويلا رومانيا أي بحسب القانون الروماني ([3])

---

[1] – موسوعة المستشرقين، ص ٣٤٣

[2] - di Bruna Soravia - Dizionario Biografico degli Italiani - Volume 90) (2017، على الرابط: https://www.treccani.it/enciclopedia/david-santillana_(Dizionario-Biografico)/

[3] – انظر برجشتريسر في نقده لكتاب سانتيلانا نظم الشريعة الإسلامية، مجلة OLZ ، ١٩٢٩،عمود ٢٢٧، ٢٢٨، نقلا عن موسوعة المستشرقين ٣٤٣.

ومن خلال هذا العرض يتضح موقف سانتلّانا من الشريعة الإسلامية وزعمه تأثرها بالقانون الروماني فضلا عن تأثر فقهاء المسلمين بهذا القانون.

المطلب الثاني: موقع دعوى سانتلّانا -حول التشريع الإسلامي- في الخطاب الاستشراقي:-

لم يكن سانتلّانا بدعا في دعواه تأثر الشريعة الإسلامية بالقانون الروماني ، بل يكاد يكون القول بعدم أصالة الفقه الإسلامي أمرا بارزا في خطاب الاستشراق ؛ والذي غلب على أصحابه روح العداء للإسلام فاتجهوا إلى الفقه الإسلامي والذي يمثل بدوره الجانب العملي التفصيلي من الشريعة الإسلامية ، وبعيدا عن روح الإنصاف في دراسة الشريعة وفقهها ونظمها ومبادئها راح كثير من المستشرقين يجردون الفقه الإسلامي من أصالته وكذا يجردون فقهاء الإسلام من جدتهم في تناول أحكام الشريعة وزعم أنهم بنوا فقههم وأسسوه على قواعد القانون الروماني.

وحول تلك الدعوى وبعض من تأثر بها في الخطاب الاستشراقي يقول الدكتور محمود حمدي زقزوق :" أمّا ما يتعلق بالشريعة الإسلامية فإن معظم المستشرقين يميلون إلى القول بتأثر الشريعة الإسلامية بالقانون الروماني، على اختلاف فيما بينهم في درجات هذا التأثر. فمنهم فريق من أمثال (جولد تسيهر)([1]) و(فون

---

١ – جولد تسيهر : مستشرق يهودي مجري(١٨٥٠– ١٩٢٠م) عُرف بنقده للإسلام واشتهر بغزارة إنتاجه عن الإسلام ويعد من أهم المستشرقين لكثرة إسهامه وتحقيقاته ==

كريمر)([1]) ، و(شيلدون آموس)([2]) يذهبون إلى القول بأن الشريعة الإسلامية مستمدة من القانون الروماني، فهذا القانون هو المصدر الذي أقام فقهاء المسلمين على أساس من قواعده الكيان القانوني للشريعة الإسلامية. وفي ذلك يقول (شيلدون آموس) بصريح العبارة :(إن الشرع المحمدي ليس إلا القانون الروماني للإمبراطورية الشرقية معدلاً وفق الأحوال السياسية في الممتلكات العربية). ويقول أيضاً :(إن القانون المحمدي ليس سوى قانون جستنيان([3]) في لباس عربي) "([4])

==

ودراساته ، من أعماله محاضرات في الإسلام ، اتجاهات في تفسير القرآن . انظر موسوعة المستشرقين ، ، ص١٩٧ إلى ٢٠٣،.

١ – فون كرايمر : (١٨٢٨– ١٨٨٩ م) مستشرق وسياسي نمسوي، نشر نحو عشرين كتابا " عربيا "، منها (المغازي) للواقدي، و (الاحكام السلطانية) للماوردي، وله كتابات كثيرة باللغة الالمانية عن الإسلام والثقافة الاسلامية، انظر الأعلام للزركلي، ٧/٢

[2] – شيلدون آموس ، مستشرق وقانوني إنجليزي ولد سنة ١٨٣٥م، وتوفي سنة ١٨٨٦م، عين رئيسا للفقه في الكلية الجامعية بلندن، ثم رحل إلى مصر وعين قاضيا بمحكمة الاستئناف، انظر موسوعة ويكيبيديا على الرابط : https://en.wikipedia.org/wiki/Sheldon_Amos

٣ – الامبراطور جستنيان الأول : (فلاڤبوس پتروس يوستيانوس) (٤٨٣ – ٥٦٥) كان إمبراطوراً رومانياً شرقياً (بيزنطياً) حكم منذ أغسطس عام ٥٢٧ حتى وفاته في نوفمبر ٥٦٥. يشتهر بإصلاحه الرمز القانوني، انظر موسوعة معرفة على الرابط : https://www.marefa.org/%D8%AC%D8%B3%D8%AA%D9%86%D9%8A%D8%A7%D9%86_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D9%84

٤ – الإسلام والاستشراق، ص ٣٢٩،

كذلك ممن وافق سانتلّانا في تلك الدعوى المستشرق "شاخت"([1]) لا سيما في مؤلفيه (أصول الفقه المحمدي) و(مدخل إلى الفقه الإسلامي)(وقد راح فيهما يتكلف النظريات حول أسس الفقه الإسلامي محاولا قطع الصلة بينه وبين جذوره، كما حاول جاهدا أن يشكك في عمل الفقهاء والأصول التي بنوا عليها فقههم كالإمام الشافعي والإمام مالك رحمهما الله تعالى ([2])

ولا عجب أن يصدر ذلك عنه فهو التلميذ الوفي النجيب لـ"جولدتسيهر" وقد اقتفى أثره وردد أفكاره وحمل لواء التشكيك في أصول الإسلام من بعده.

وأياً ما يكن من أمر فإن شواهد ميل المستشرق سانتلّانا ورفاقه إلى القول بتأثر الشريعة الإسلامية بالقانون الروماني أو غيره كثيرة ، وهم وإن اختلفت عباراتهم وتفاوتت غاياتهم في ذلك فإن الدافع يكاد يكون واحدا وهو : " إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم ، وبث روح الشك في كل ما بين أيديهم من قِيمٍ وعقيدة ومُثُلٍ عُلْيَا ، ليسهل على الاستعمار تشديد وطأته عليهم ، ونشر ثقافته الحضارية فيما بينهم ،

---

١ –شاخت ، مستشرق ألماني ، ولد في ١٩٠٢م ، وتوفي ، ١٩٦٩م، كانت له عناية خاصة بالفقه الإسلامي، من أعماله، مدخل إلى الفقه الإسلامي ، انظر موسوعة المستشرقين ، ٣٦٦

٢ – يراجع : "أصول الفقه المحمدي"لجوزيف «شاخت»، مراجعة نقدية، دكتور حسان شهيد، مركز نهوض للدراسات والنشر.

فيكونوا عبيداً لها ، يجرُّهُمْ حُبُّهَا إلى حُبِّهِمْ ، أو إضعاف روح المقاومة في نفوسهم " (١)

وقد زكى هذا الدافع حقد دفين على القيمة الذاتية للفقه الإسلامي وصرحه الشامخ الذي شاده وأرسى قواعده أئمة مجتهدون وفقهاء أعلام أكدوا بعملهم هذا على عظمة الشريعة الإسلامية وإعجازها ومرونتها، فجاء نتاجهم ثريا زاخرا يشهد ويؤكد على عظمة الشريعة الإسلامية كما ينطق في نفس الوقت على إبداعهم وتفوقهم وأصالتهم

" لقد جاء هذا الفِقه على مستوى رفيعٍ جدًّا من الرقي والنُّضج، وبخاصَّة في فترةِ اكتماله وتمام نُضْجه في القرْن الثاني الهِجري – عصر الأئمَّة ونوابغ الفُقهاء – ممَّا يُعتبَر – بحقٍّ – جانبًا مِن جوانب إعجاز الشريعة الإسلاميَّة، وقدْ أدرك المنصِفون الأسبابَ الحقيقيَّة وراءَ قِيام هذا الصَّرْح الشامِخ من الأعمال التنظيميَّة الشاملة لشتَّى أنشطة الحياة، والاجتهاد؛ حتى فيما لم يُوجدْ بعدُ على فرْض وجوده(الفقه الافتراضي) وهذه الأسباب ترجِع في مجملها إلى سموِّ الشريعة الإسلاميَّة نفسِها، واشتمالها، على الأُسسِ والمقرَّرات العامَّة وترْكها الجزئياتِ التفصيليةَ لعِلم الفقه، كما يرجع إلى أصولِ الاستنباط المتنوِّعة في هذه الشريعة "(٢)

---

١ – الاستشراق والمستشرقون ، مالهم وما عليهم، دكتور مصطفى السباعي، ص ٣١، دار الوراق للنشر والتوزيع – المكتب الإسلامي.

٢ – أصالة الفقه الإسلامي بين الحقيقة والافتراء، د/ أحمد يوسف سليمان، بحث منشور على موقع الألوكة على الرابط/ https://www.alukah.net/sharia/0/32622/

ولهذه الأسباب لم يتمالك سانتلّانا وغيره من المستشرقين الحاقدين أنفسهم فشككوا في أصالة الفقه الإسلامي زاعمين انتحاله من غيره.

المطلب الثالث: الحجج التي أسس سانتلّانا عليها دعوى تأثير القانون الروماني في التشريع الإسلامي:

حاول سانتلّانا ومن نحا نحوه من المستشرقين تغليف دراساتهم حول الشريعة الإسلامية وفقهها بطابع البحث العلمي ، ومن ثمّ فقد أوردوا في هذا الباب بعض الأدلة على دعوى استمداد الشريعة من الفقه الروماني ، وأبرز تلك الأدلة من وجهة نظرهم تتمثل فيما يلي:

١- القول بوجود تشابه بين بعض أحكام الشريعة ومواد القانون الروماني:

يعد القول بوجود تشابه بين بعض أحكام الشريعة وبين بعض المواد في القانون الروماني أساساً بنى عليه سانتلّانا موقفه من تلك القضية التي تبناها وأخلص لها في دراساته المرتبطة بالشريعة الإسلامية مصرحا بما أسماه " التشابه القوي بين الشريعة الإسلامية والقوانين الإسلامية على نحو مناظر إن لم يكن مساويا للقانون الروماني"([1])

١ – نظم الشريعة الإسلامية بحسب مذهب مالك مع مراعاة مذهب الشافعي، سانتيلانا،١/IV–VII، روما ١٩٢٦م، نقلا عن موسوعة المستشرقين ، دكتور عبد الرحمن بدوي، ص ٣٤٢

ولا شك أن الغرض من إبراز هذا التشابه المزعوم بين بعض أحكام الشريعة الإسلامية وبين بعض مواد القانون الروماني واضح في إلصاق التهمة بالفقه الإسلامي وزعم عدم أصالته.

٢- القول بتسرب القانون الروماني إلى الفقه من خلال العادات والأعراف السائدة في البلاد التي فتحها المسلمون:

يحاول "سانتلّانا" نفي أصالة الفقه الإسلامي وزعم استمداد الفقهاء له من خلال استدلاله على تأثر الفقه بالقانون الروماني وأحكامه في البلاد التي فتحها المسلمون؛ ومن ثم تأثروا بما فيها من أعراف وتقاليد وأحكام بنيت على القانون الروماني وتسربت بدورها إلى الفقه الإسلامي؛ نتيجة لتأثر الفقهاء المسلمين بتلك الأعراف السائدة وهيمنتها على الفقه الإسلامي.

وحول تبني "سانتلّانا" لهذا الرأي يقول الدكتور الدواليبي([1]):" يدعي المستشرقون أن للحقوق الرومية تأثيرا عظيما في الحقوق الإسلامية لا شك فيه ومن ذلك حجتهم أن الحقوق الرومية تركت عن طريق تطبيقها في الشرق تعاملا حقوقيا أصبح من أعراف هذه البلاد وتقاليدها وأن هذا التعامل وهذه التقاليد دخلت في الحقوق

١ – دكتور محمد معروف الدواليبي، أكاديمي وسياسي سوري ولد ١٩٠٩م، وحصل على الدكتوراه في الحقوق من جامعة السوربون، وشغل كثيرا من المناصب، من مؤلفاته: الحركة التشريعية في الإسلام، مدخل إلى علم أصول الفقه ، وتوفي ٢٠٠٤م، انظر موسوعة ويكيبيديا على الرابط:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B9%D8%B1%D9%88%D9%81_%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%A8%D9%8A

الإسلامية بصورة لم يُشعَرُ بها...ويقول بهذا الرأي(سانتيلانا) في مقدمته على مشروع القانون المدني والتجاري التونسي المطبوع سنة ١٨٩٠م"([1])

وهكذا يذهب الوهم بسانتلانا وغيره ممن تأثروا بتلك الشبهة أشواطا بعيدة عندما يزعمون تسرب القوانين الرومانية إلى الفقه الإسلامي من خلال الأعراف والتقاليد السائدة في البلاد المفتوحة.

٣- القول بتأثر الفقهاء المسلمين بنظرائهم من الأوربيين:

يؤكد "سانتلّانا" على تلك الصلة الوثيقة بين الفقهاء المسلمين وبين نظرائهم في الجانب الروماني؛ وقد سبقت الإشارة إلى ذلك بقوله:" متى نفذ المرء في عمق الأمور دهش حين يرى ما هناك من نظائر وثيقة بين كبار الفقهاء (المسلمين) في المدينة والكوفة وقرطبة وآرائنا نحن (الأوربيين)"([2])

وهو يلمح بذلك إلى أن فقهاء الإسلام قد أسسوا فقههم واستمدوا قواعده وأصوله من رجال القانون الروماني من خلال المدارس العلمية التي كانت تدرس القانون الروماني وتخرج رجاله خاصة في بلاد الشام.

تلك هي أبرز الحجج التي ساقها سانتلّانا وغيره من المستشرقين الذين زعموا تأثير القانون الروماني في التشريع الإسلامي، وهي

---

١ – الوجيز في الحقوق الررومية وتاريخها، جزء١ ، ص ٥٩ ، نشر مكتبة الشرق ، حلب، ١٩٦٣م

٢ – القانون المدني والتجاري التونسي، دافيد سانتيلانا المقدمة، ص XII، تونس ١٨٩٩،

افتراءات واهية لا قيمة لها في ميزان البحث العلمي البعيد عن الغرض والهوى، ومن ثم لا تلبث تلك الحجج أن تتهاوى أمام حقائق التشريع الإسلامي ، وأدلة العقل والتاريخ والواقع وهذا ما أتناوله في المطلب التالي:

المطلب الرابع: نقد دعوى "سانتلّانا" تأثير القانون الروماني في التشريع الإسلامي:

إن تلك الحجج التي نصبها سانتلّانا وغيره من المستشرقين في هذا الباب لا تصمد أمام البحث العلمي النزيه، فهي لا تعدو كونها آراء وفرضيات تتعارض مع الحقائق الثابتة والوقائع التي لا يمكن إنكارها، فإذا انضم إلى ذلك معرفة الدافع إلى قول تلك الآراء وما انطوت عليه نفوس قائليها من الحقد على ثروة الإسلام التشريعية تبين إلى أي مدى ابتعد هؤلاء المستشرقون عن الحق، وفيما يلي نقد دعوى سانتلّانا حول الشريعة الإسلامية من خلال ما يلي:

أولا: مناقشة دعوى سانتلّانا تأثير القانون الروماني في التشريع الإسلامي في ضوء الحقائق التاريخية:

لا شك أن الرأي إذا عارضته حقائق التاريخ الثابتة لم يكن رأيا يصلح الاعتداد به أو الوقوف عنده؛ لأنه حينئذ لن تكون له قيمة في ميزان النقد العلمي الجاد.

ومن هنا فإن حقائق التاريخ ووقائعه تتعارض مع ادعاء تأثير القانون الروماني في التشريع الإسلامي، سواء أكان ذلك عن

طريق تسرب شيء من أحكام هذا القانون في الواقع الإسلامي أم كان عن طريق الاتصال المباشر بين فقهاء الإسلام وبين مدارس القانون الروماني ومعاهده في البلاد المفتوحة، وذلك للأسباب التالية:

١- إن القوانين الرومانية لم تكن تطبق إلا على سكان روما بالإضافة إلى سكان إيطاليا من اللاتين، وأما ما سواهم ممن يعيشون تحت لواء الإمبراطورية الرومانية كمواطني مصر وسوريا فقد كانت لهم قوانينهم التي تنظم شئونهم، فضلا عن أن تلك القوانين السائدة في تلك البلاد هي التي كان لها تأثير في القانون الروماني وليس العكس.

ولذلك يقول الدكتور الدواليبي:" إن الوقائع التاريخية تثبت لنا أن الحقوق الرومانية الأصيلة كانت مقصورة على الوطنيين من سكان رومة، ثم على جميع اللاتين(١) من سكان إيطاليا من أبناء الإمبراطورية الأجانب ، بينما الحقوق الرومانية اللاحقة لم تطبق في البلاد ذات التقاليد الحقوقية الراجحة، كما أن سورية والعراق ومصر كانت تحت أحكام وتقاليد حقوقية شرقية راقية،

١ - (اللاتيني) في الأصل المنسوب إلى (لاتيوم) وهو سهل في إيطاليا يقال لسان لاتيني ولغة لاتينية أي اللغة الإيطالية لروما القديمة باعتبارها اللغة النموذجية لمعظم مناطق الامبراطورية الرومانية، انظر المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ٢/٥٤٥.

فضلا عن أن تلك الحقوق الرومانية اللاحقة هي حقوق ذات طابع شرقي تأثرت بتقاليد الشرق دون أن تؤثر فيها"([1])

وإذا كان الأمر كذلك فكيف حدث هذا التأثير المزعوم الذي يقول به سانتلّانا ورفاقه من المستشرقين ممن غلب عليهم الغرض والهوى فزيفوا حقائق التاريخ وافتروا على شريعة الإسلام وفقهائها.

٢- إن الادعاء بتأثر الفقهاء بما تعلموه من معاهد ومدارس القانون الروماني أمر يتنافى مع الحقائق التاريخية التي تثبت أن تلك المدارس القانونية لم يكن لها وجود إبان الفتح الإسلامي لتلك البلاد ، " فقد ألغيت هذه المدارس بقرار امبراطوري في ١٦ ديسمبر ٥٣٣م، وما بقي من هذه المدارس في روما والقسطنطينية لم يكن له تأثير على المسلمين ، أما مدرسة بيروت فقد اندثرت قبل الفتح الإسلامي بثلاثة أرباع القرن، فلا يتصور تأثير مدرسة مندثرة لا وجود لها في الفقه الإسلامي ، وعلى أساس هذه الواقعة التاريخية المادية يتبين بطلان ادعائهم بتأثر الفقيه الإسلامي الإمام الأوزاعي([2]) بمدرسة بيروت وآراء فقهائها ...فالإمام

---

[1] – الوجيز في الحقوق الرومية وتاريخها، جزء ١، ص ٦٢ ، ٦٣

[2] – هو الإمام الجليل عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الاوزاعي، من قبيلة الاوزاع، أبو عمرو: إمام الديار الشامية في الفقه والزهد، وأحد الكتاب المترسلين. ولد في بعلبك سنة ٨٨هـ، ونشأ في البقاع، وسكن بيروت وتوفي بها سنة ١٥٧هـ، من مصنفاته له كتاب (السنن) في الفقه، و (المسائل)...انظر الأعلام ٣٢٠/٣

الأوزاعي كان من فقهاء مدرسة الحديث وهم أبعد الناس عن التأثر بالقانون الروماني على فرض علمهم به "([1])

٣- إن الوقائع التاريخية تتعارض مع القول بتسرب شيء من مضامين القانون الروماني إلى الواقع الإسلامي عبر القوانين العربية قبل الإسلام ولذلك يؤكد المستشرق الإيطالي الكبير **(كرلو ألفونسو نلّينو)**([2]) على أن القول بتسرب شي من القوانين الرومانية إلى الفقه الإسلامي قبل الفتوحات الإسلامية عن طريق القوانين العربية الموجودة لا يعدو كونه ظنا يفتقر إلى برهان لإثباته ، فيقول :" إن القول بتسرب شيء من القوانين الرومية إلى الفقه الإسلامي لا يمكن إلا أن يكون ظنا بحتا، فإنه لا يوجد لإثباته دليل من الحقائق والوقائع إلى الآن"([3])

---

[1] – يراجع : المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، دكتور عبد الكريم زيدان، ص ٧٥، نشر مؤسسة الرسالة بيروت.

٢ – كرلو ألفونسو نلّينو ، مستشرق إيطالي كبير، ولد في تورينو ١٨٧٢، أسند إليه كرسي تاريخ الإسلام ونظمه في جامعة روما١٩١٥، وأشرف على مجلة الدراسات الشرقية، وعنى بعلوم الفلك والجغرافيا وعلم الكلام والفلسفة ، ثم عني بالشريعة الإسلامية وكان له باع طويل فيها وأثبت أن القوانين المسيحية الشرقية تعتمد كلها على الشريعة الإسلامية ومنها استمدت، ومكانة نلّينو بين المستشرقين مكانة ممتازة، وكانت وفاته ١٩٣٨م ، انظر موسوعة المستشرقين، د/ بدوي ، ٥٨٣– ٥٨٧

٣ – نظرات في علاقات الفقه الإسلامي بالقانون الرومي، كرلو ألفونسو نالينو ، محاضرة ألقيت في المؤتمر الدولي في القانون الروماني في روما ١٩٣٢م، وهي منشورة ضمن ==

بل إن "تلينو" يذكر شهادة من القرن الخامس الميلادي تصف القبائل العربية الموجودة في أقصى حدود الإمبراطورية الرومية بأنهم" رغم خضوعهم لحكم الرومايين فإن القانون الروماني لا يطبق عليهم"([1])

ومن خلال تلك الوقائع التاريخية ينتفي عن فقهاء الإسلام القول بتسرب شيء من مضامين القانون الروماني إلى الواقع الإسلامي سواء قبل الفتوحات الإسلامية أم بعدها.

٤- إن واقع الفقه الإسلامي وتاريخ تدوينه يثبت جدة علماء الإسلام وأصالتهم، ويكفي علم أصول الفقه شاهدا على تلك العقلية الإسلامية الرائدة والأصيلة في هذا الباب " فقد دُوِّن الفقه، ثم أصول الفقه، وهو بمثابة المنهج الذي يضبط الاستنباطَ مِن الزَّلل والخَلَل، وهو علمٌ إسلاميٌّ مائة في المائة، لم تَشُبْه شائبة العُجمة في أيِّ جزء من أجزائه عندَ ابتكاره على يدِ الإمام الشافعي وهو فقيهٌ لم يصحَّ أنه كان يَعرِف غيرَ اللُّغة العربية"(٢)

==

مجموعة من البحوث تحت عنوان: هل للقانون الروماني تأثير على الفقه الإسلامي، ص ١٣، نشر دار البحوث العلمية، ١٩٧٣م

١ – المرجع السابق ، ص ١٤

٢ – أصالة الفقه الإسلامي بين الحقيقة والافتراء، د/ أحمد يوسف سليمان: على موقع الألوكة الرابط/ https://www.alukah.net/sharia/0/32622

وفي ضوء هذا الكلام فإن بداهة العقول تقتضي القول بأن فقهاء الإسلام لو كان لهم اطلاع على القانون الروماني من قريب أو بعيد لأشاروا إلى ذلك ولنقل عنهم في كتبهم لكنَّ شيئا من ذلك لم يحدث ، ولهذا يقول الدكتور زيدان:" من الثابت أن فقهاء الشريعة لم يطلعوا على هذا القانون ، ولو أنهم عرفوا منه شيئا لأشاروا إليه في كتبهم الفقهية مؤيدين أو منكرين كما فعلو فيما أخذوه من علوم الفلسفة والأدب والطب عن غيرهم ..كما أنه لم تترجم نصوص القانون الروماني ولا شروحه إلى اللغة العربية لا من قبل فقهاء الشريعة ولا من غيرهم ولو أنه حصل شيء من ذلك لعرف ذلك عنهم ولحفظ لنا التاريخ كتابا واحدا أو رسالة واحدة "([1])

٥- إن فقهاء الإسلام قد ولوا وجوههم شطر الشريعة الإسلامية لأنها قائمة على الوحي المعصوم، ومن ثم لم يكونوا بحاجة إلى اجترار مثل تلك القوانين وعندهم كفاية وغناء تشريعي يشرفون بالانتساب إليه لأنه يرجع في النهاية إلى الكتاب والسنة ، ولهذا بنوا موقفهم على " الاعتقاد بحقٍّ أن الشريعة الإسلامية هي التشريع الكامل والقانون العادل الذي يحقق الخير والمصلحة والعدالة للناس لأنه قائم على أساس الوحي

١ – المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، ص ٧٦

الإلهي وبهذا لم يشعروا بحاجة إلى دراسة القانون الروماني ، بل ولم يروا داعيا إلى مجرد الاطلاع عليه"([1])

وإزاء تلك الحقائق التاريخية المرتبطة بواقع الفقه الإسلامي وتاريخ تدوينه نخلص إلى القول بأن هذا الاتجاه من سانتلّانا هو اتجاه مغرض ومفرط في التعصب ضد الإسلام وتراثه الفقهي.

ثانيا: مناقشة دعوى سانتلّانا تأثير القانون الروماني في التشريع الإسلامي في ضوء بيان المخالفات المنهجية في تناول تلك القضية:

إن ميدان البحث العلمي يتطلب من الباحث أن يكون موضوعيا متجردا عن الأهواء والأغراض، متبعا للمنهج العلمي السديد الذي يقوده في النهاية إلى النتائج المرجوة.

أما أن يبدأ الباحث من فكرة مسبقة في ذهنه يعتقدها دون دليل ويتكلف في إثباتها فهذا ما يتجافى مع المنهج العلمي، وهو بعينه ما فعله "سانتلّانا" في دراساته حول الشريعة الإسلامية وقد أظهر فيها اطلاعا واسعا وإحاطة كبيرة لكنه ينطلق من فكرة تأثير القانون الروماني فيها مخالفا في ذلك ما يقتضيه المنهج العلمي السديد، ومن أبرز المخالفات المنهجية التي وقع فيها سانتلانا في تلك القضية ما يلي:

---

١ – المرجع السابق ، ص ٧٦

١- الادعاء دون دليل واضح وبرهان صحيح:

ما أسهل أن يدعي الإنسان قولا دون دليل، لكن يبقى هذا القول لا قيمة له طالما كان مجردا عن أدلة إثباته، وقد ادعى سانتلّانا تسرب القانون الروماني إلى التشريع الإسلامي ولم يقدم دليلا واحدا على صحة تلك الدعوى، بل الأدهى من ذلك أنه يعتذر عن تقديم الأدلة على تلك الدعوى معللا بأن المجال ليس مجال بسط وتقديم للأدلة، فأين ما فعله هذا من منطق البحث العلمي السديد؟!!

وحول تلك المنهجية الفاسدة عند سانتلّانا يقول الدكتور الدواليبي:" والادعاء بأن هذه التقاليد دخلت الحقوق الإسلامية بصورة لم يشعر بها هو أول ضعف يبدو في هذه الحجة، إذ أن أحدا من المستشرقين ومن أخذ برأيهم لم يبين لنا كيف ؟ وهذا هو سانتلّانا بنفسه بعد أن بسط نظريته تساءل وقال:(ولكن كيف تحقق ذلك؟) ثم أجاب قائلا :(إن التحريات والبحوث هنا هي بحوث لا شك في أنها مملوءة بكثير من الفوائد) ثم اعتذر وقال:(ولكن ليس محلها هنا).وهذا ما يقلب هذه الحجة وينزل بها أولا إلى مصاف الفرضيات المجردة عن كل بيان ودليل"(١)

وبهذا يظهر عوار هذا الخطاب الاستشراقي القائم على مجرد الفرضيات والظنيات المفتقرة إلى البرهان، وقد أرشد القرآن

١ – الوجيز في الحقوق الرومية وتاريخها، جزء ١، ص ٦٢

الكريم أن من ادعى قولا فلا بد أن يأتي ببرهان على صحة دعواه، وذلك في قوله تعالى:{ **قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**}(١) " وفي الآية دليل على أن المدعي سواء ادعى نفيا ، أو إثباتا ، فلا بد له من الدليل والبرهان"(٢)

٢- **القصور المنهجي:** يذكر المستشرق **(نلّينو)** صورا من القصور المنهجي تكاد تكون عاملا مشتركا بين القائلين بتأثير القانون الروماني في التشريع الإسلامي، ومن أبرز صور هذا القصور ما يلي (٣)

أ- إهمال الاختلافات الموجودة بين مذهب فقهي ومذهب فقهي آخر.

ب- الحرص على اصطياد المتماثلات وإهمال الإشارة إلى الاختلافات التي تصير محكا لقيمة الاختلافات وقدرها.

ت- إهمال الفرق العظيم بين العصر الكلاسيكي للغرب وبين العالم الإسلامي في تصور القانون، وفي

---

١ – سورة البقرة، جزء من الآية رقم١١١

٢ – مفاتيح الغيب . للإمام: محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازى ٦/٤ نشر : دار إحياء التراث العربى . بيروت

٣ – نظرات في علاقات الفقه الإسلامي بالقانون الرومي، نالينو ، محاضرة ألقيت في المؤتمر االدولي في القانون الروماني في روما ١٩٣٢م، وهي منشورة ضمن مجموعة من البحوث تحت عنوان: هل للقانون الرومي تأثير على الفقه الإسلامي، ص ١٨، ١٩.

مصادره...فبينما يعد البيع والشراء عند اليونانيين عقدا ماليا؛ فإنه يعد في المذاهب الفقهية عقدا عن تراض...لأن هذا مبني على آية من القرآن حيث ورد **{ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ }(١)**"

ومن خلال تلك الصور – التي يعرض لها واحد من بني جلدة المستشرقين وعلم كبير من أعلام الاستشراق الإيطالي ورفيقٌ لسانتلّانا –يتضح القصور المنهجي الذي صاحب تناول تلك القضية ، الأمر الذي ينزع عن دراسات سانتلّانا – ومن نحا نحوه – سمة المنهجية العلمية.

٣– الخداع والمراوغة:

انتهج سانتلّانا في تناوله للشريعة الإسلامية منهجا مراوغا يهدف من خلاله إلى دس السم في العسل؛ فبينما يتكلف في بحوثه وصف الشريعة الإسلامية أنها مستعارة من القانون الروماني، إذا به في موضع آخر يتكلم عن شريعة الإسلام بإكبار وتقدير وإجلال.

فيقول مثلا عن مرونة الشريعة ووسطيتها:" لما كان الشرع الإسلامي يستهدف منفعة المجموع، فهو بجوهره شريعة تطورية غير جامدة خلافًا لشريعاتنا من بعض الوجوه. ثم إنها علم ما دامت تعتمد على المنطق الجدلي.. وتستند إلى اللغة.. إنها ليست جامدة، ولا تستند

١ – سورة النساء، جزء من الآية رقم ٢٩

إلـى مجـرد العـرف والعـادة، ومدارسـها الفقهيـة العظيمـة تتفـق كلهـا علـى هـذا الـرأي. فيقـول أتبـاع المـذهب الحنفـي أن القاعـدة القانونيـة ليسـت بالشـيء الجامـد الـذي لا يقبـل التغييـر. إنهـا لا تشـبه قواعـد النحـو والمنطـق. ففيهـا يتمثـل كل ما يحدث في المجتمع بصورة عامة.."([1])

وفـي موضـع ثـان يقـول عـن الفقـه الإسـلامي: " "إن فـي الفقـه الإسـلامي مـا يكفـي المسـلمين فـي تشـريعهم المدني إن لم نقل إن فيه ما يكفي للإنسانية كلها"([2])

إلـى غيـر ذلـك مـن المواضـع التـي أثنـى فيهـا علـى الشـريعة ونظمها ومبادئها ثناء عطرا ([3])

والحـق أنـه لا يسـلك هـذا المسـلك إلا مغـرض خبيـث يبتغـي بهذا الكلام أن يلبس على الناس ويشككهم في تراثهم .

---

١ – انظر : القانون والمجتمع ، سانتيلانا، كتاب تراث الإسلام ، إشراف سير توماس آرنولد ، ص ٤٣٣، ٤٣٤ ترجمة جرجيس فتح الله ، بيروت ١٩٧٢م

٢ –مشروع القانون المدنى والتجاري التونسي لسانتلانا(Avant projet du code civil commercial tunisien) نقلا عن روح الدين الإسلامي، لعفيف الدين طبارة، ص ٣١١، الطبعة الثامنة والعشرون، دار العلم للملايين ،بيروت

٣ – انظر نماذج لذلك في كتاب ، الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء، د/محمد عمارة، ص ١٤٨ – ١٥٨ ، نشر دار الشروق.

ثالثا: مناقشة دعوى سانتلّانا تأثير القانون الروماني في التشريع الإسلامي في ضوء الموازنة بين الجانبين :

زعم سانتلّانا وجود تناظر أو تماثل بين الشريعة الإسلامية وبين القانون الروماني ليجعل من ذلك التماثل المزعوم دليلا على تأثير القانون الروماني وهو السابق على الشريعة الإسلامية اللاحقة ؛ ولا شك أن هذا التناظر أو التشابه المزعوم الذي يدعيه ليس فيه دلالة من قريب أو بعيد على تأثر في جانب الشريعة .

وأما كون بعض القواعد في الشريعة قد تشابهت مع بعض القواعد في هذا القانون، فإن ذلك لا يعني بالضرورة أنها مأخوذة منه، لأن تلك القواعد يقتضيها العقل السليم في أي شريعة من الشرائع.

وهذا ما يؤكد عليه الدكتور زيدان بقوله:" إن بعض هذا القواعد المتشابهة كقاعدة (عبء الإثبات على المدعي) والتي جاء مثلها في الشريعة (البينة على من ادعى واليمين على من أنكر) ، وقاعدة :تحريم أخذ مال الغير بغير حق ، تعتبر من القواعد الشائعة في جميع الشرائع التي يهتدي إليها العقل السليم وتقضي بها العدالة ، وإغفالها في أي تشريع يدل قصوره وعدم عدالته ، ومن ثم لا يدل هذا التشابه في هذا النطاق على أن الشريعة اللاحقة أخذت من السابقة....وقد يكون التشابه ناشئا عن تشابه في الظروف الاجتماعية التي مرت بها كل من الشريعتين ،كما أن العقول السليمة

تتشابه في كثير من أنواع التفكير، وهذا أمر طبيعي في الأمم جميعا"([1])

وبهذا يتضح وهم هذا التشابه المزعوم بين الجانبين، فضلا عن أن القول به يبتعد بصاحبه عن المنهج العلمي السديد، والذي يقتضي من صاحبه أن يذكر الاختلافات كذلك، وأن يوازن بين الجانبين ليعلم ما بينهما من بُعد المشرقين .

وحول أهمية تلك الموازنة في معرفة فضل الشريعة الإسلامية وتمايزها يقول الشيخ أبو زهرة –رحمه الله–: "إن من يريد أن يعرف منزلة الشريعة الإسلامية وأنها في درجة فوق مستوى العقل البشري فليوازن بينها وبين القانون الروماني ...وإذا كان القانون الروماني هو خلاصة ما وصل إليه العقل البشري في مدى ثلاثة عشر قرنا في تنظيم الحقوق والواجبات ، فإذا وازنا بينه وبين ما جاء على لسان النبي الأمي وأنتجت الموازنة أن العدل فيما قاله محمد ليس من صنع بشر ،إنه العليم اللطيف الخبير سبحانه...وفي أي جانب اختارت الموازنة بين ما اشتمل عليه القرآن وما اشتملت عليه الشرائع التي سبقته أو عاصرته بدا لك الفرق بين السمو الروحي ، والأخلاق الأرضية"([2])، ويمكن إجمال أبرز الفروق العامة والجوهرية بين الجانبين فيما يلي :

---

[1] – المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، ص ٨٠

[2] – شريعة القرآن من دلائل إعجازه، ص ١٤، ١٥، إصدار هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف، عدد شوال ١٤٣٦هـ

١- " الفقه الإسلامي مستمد من الكتاب والسنة أصولا وفروعا، ومن اجتهاد العلماء المستند إلى الكتاب والسنة، أما القانون الروماني فمستمد من القانون الوضعي، وهو وليد العقل المحض.

٢- الفقه أو الشريعة الإسلامية تخاطب جميع المكلفين ولم تفرق بين جنس أو نوع أو بيئة، والقانون الروماني كان خاصا بجنس معين في زمن معين ومكان معين.

٣- الفقه الإسلامي أعم وأشمل من حيث أنه يشمل كل أحوال الناس دينا ودنيا، والقانون الروماني محصور في دائرة تنظيم العلاقات وفض المنازعات في الأحوال المدنية والجنائية.

٤- الشريعة الإسلامية تجمع بين القواعد والأصول القانونية والقواعد والأصول الأخلاقية، بينما يقتصر القانون الروماني على الجوانب القانونية ولا يقيم وزنا للأخلاق.

٥- مما يؤكد أصالة الفقه الإسلامي أن جميع أحكامه التفصيلية ترجع إلى نص تشريعي ...فما الحاجة إلى تلمس مصادر أجنبية له هو ليس في حاجة إليها؟!"([1])

ومن خلال تلك الفروق الجوهرية يتضح أن الشريعة الإسلامية التي أساسها الوحي الإلهي لا علاقة لها بالقانون الوضعي، كما ندرك الفرق واضحا بين أحكام مصدرها العقل البشري الذي يكتنفه

١ - انظر: افتراءات المستشرقين على الإسلام عرض ونقض، دكتور عبد العظيم المطعني، ص١٥٢، ١٥٣، نشر مكتبة وهبة، الطبعة الأولى ،١٩٩٢م

القصور وبين أحكام مصدرها خالق العقل -جل شأنه -فجاءت هادية للتي هي أقوم في كل جانب من جوانبها.

وقد لخص الفقيه القانوني الكبير الدكتور السنهوري ([1]) الفرق بين القانون الروماني والشريعة الإسلامية بقوله:" إن القانون الروماني بدأ عادات وازدهر عن طريق الدعوى والإجراءات الشكلية، أما الشريعة الإسلامية فقد بدأت كتابا منزلا من عند الله ونمت وازدهرت عن طريق القياس المنطقي والأحكام الموضوعية ...كما امتاز فقهاء المسلمين عن فقهاء الرومان بل وفقهاء العالم باستخلاصهم أصولا ومبادئ عامة من نوع آخر هي أصول استنباط الأحكام من مصادرها وهذا ما سموه بعلم أصول الفقه "([2])

ونخلص من تلك الموازنات إلى فساد زعم "سانتلّانا"وغيره من المستشرقين بتأثير للقانون الروماني في الشريعة الإسلامية، وهي موازنات تخاطب العقول وتلزم المخالفين وتقضي بأنه لا يمكن أن يتصور مع هذا الاختلاف بين الجانبين وجود شيء من التوافق أو التشابه.

---

١ – هو الدكتور عبد الرازق بن أحمد السنهوري، كبير علماء القانون المدني في عصره، ولد بالإسكندرية ١٨٩٥م، وحصل على الدكتوراه من فرنسا١٩٢٦م، وتولى وزارة المعارف بمصر، ثم عين رئيسا لمجلس الدولة ١٩٤٩م، ووضع قوانين مدنية لمصر والعراق وسوريا وليبيا والكويت، وتوفي ١٩٧١م، انظر الأعلام للزركلي ٣/٣٥٠

٢ – أصول القانون أو المدخل لدراسة القانون، دكتور عبد الرزاق السنهوري، د/ أحمد أبو ستيت، ص ١٣٢، نشر مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة١٩٥٠م.

المبحث الثاني:

شبهات سانتلّانا حول الفلسفة والعلوم الإسلامية:

المطلب الأول: ادعاءات سانتلّانا حول الفلسفة والعلوم الإسلامية

المطلب الثاني: موقع دعوى سانتلّانا – حول الفلسفة الإسلامية – في الخطاب الاستشراقي

المطلب الثالث: نقد ادعاءات سانتلّانا حول الفلسفة والعلوم الإسلامية

المبحث الثاني : شبهات سانتلّانا حول الفلسفة والعلوم الإسلامية

الفلسفة الإسلامية([1]) هي الفلسفة المرتبطة بالإسلام سواء أكانت تعبر عن تصورات مفكري الإسلام حول الحياة والكون وغيرها من القضايا التي شغلت العقل الإنساني، أم كانت تعبر عن التصورات العقلية والجهود العلمية والفكرية التي تمت في إطار الثقافة العربية الإسلامية كعلم الكلام وعلم أصول الفقه وغيرها من علوم هي نتاج العقلية الإسلامية المبدعة .

ولما كانت الفلسفة الإسلامية جزءاً من تراث الأمة وهُويتها، فقد لاقت في الخطاب الاستشراقي اهتماما بالغا، وممن عُني بدراستها وعلاقتها بغيرها من الفلسفات وبخاصة الفلسفة اليونانية "سانتلّانا"، والذي كان محاضرا لها في جامعة القاهرة، وله فيها محاضرات حول المذاهب الفلسفية اليونانية في العالم الإسلامي.

---

١ – الفلسفة الإسلامية مصطلح عام، يمكن تعريفه واستخدامه بطرق مختلفة، إذ يمكن أن يستخدم على أنه الفلسفة المستمدة من نصوص الإسلام، بحيث يقدم تصور الإسلام ورؤيته حول الكون والخلق والحياة والخالق. لكن الاستخدام الآخر الأعم، يشمل جميع الأعمال والتصورات الفلسفية التي تمت وبحثت في إطار الثقافة العربية الإسلامية والحضارة الإسلامية تحت ظل الإمبراطورية الإسلامية من دون أي ضرورة لأن يكون مرتبطاً بحقائق دينية أو نصوص شرعية إسلامية، ، انظر صحيفة البيان ، مقال : الفلسفة الإسلامية تصور ديني ودنيوي حول الخالق والحياة، بتاريخ ٢٠١٦/١٢/٢٥م، على الرابط https://www.albayan.ae/five-senses/culture/2016-12-25-1.2806710

وكما كان سانتلّانا حريصا على نفي أصالة الفقه الإسلامي فإنه كان كذلك حريصا على نفي أصالة العلوم الإسلامية ومنها الفلسفة والتي زعم انها مستفادة من الفكر الفلسفي اليوناني ومؤسسة عليه، وأن فلاسفة الإسلام بعيدون عن الجدة والابتكار ملصقاً التهم بالعقل الإسلامي ونافيا في نفس الوقت أي لون من ألوان الإبداع عن فلاسفة الإسلام ومفكريه.

ومن ثم أتناول في هذا المبحث تلك الشبهات التي أوردها سانتلّانا في هذه القضية، مع الرد عليها وبيان زيفها وبطلانها، وذلك من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: ادعاءات سانتلّانا حول الفلسفة والعلوم الإسلامية:

في عام ١٩١٠ دُعِيَ سانتلّانا لإلقاء محاضراته حول تاريخ الفلسفة الإسلامية في الجامعة المصرية القديمة، وقد حرص في تلك المحاضرات على نفي أصالة الفلسفة الإسلامية وراح يتلمس جذورها وأصولها في الفلسفة اليونانية ليؤكد أن التفكير الفلسفي في الإسلام خال من الإبداع وأن العلماء والفلاسفة المسلمين ليسوا إلا ناقلين عن سلفهم من العلماء والفلاسفة اليونانيين.

ومن أبرز ما جاء في تلك المحاضرات ما يلي:

١- ذكر "سانتلّانا" صراحة في مقدمته لتلك المحاضرات أن الهدف من تلك المحاضرات في تاريخ الفلسفة الإسلامية هو بيان اقتباسها من الفلسفة اليونانية، وهذا نص كلامه حيث يقول :" إن المقصود من هذه المحاضرات هو النظر فيما

كان بين الفلسفة اليونانية والمذاهب الإسلامية من التعلق سيما مذاهب فرق المتكلمين المعتزلة منهم والأشاعرة ، ثم حكماء الإسلام لكي يتحقق ما اقتبسه كل فرقة من اليونان وكيف أفرغته في قوالب الإسلام"([1])

وبهذا الكلام يفصح "سانتلاّنا" عن هدفه ، ويكشف عن مقصوده في تجريد العقلية الإسلامية من أي إبداع ، فليست الفلسفة الإسلامية في نظره إلا صورة مقتبسة من نظيرتها اليونانية .

٢- لم تكن العلوم الإسلامية- التي أفرزتها العقلية المسلمة - أحسن حالا عند "سانتلاّنا" من الفلسفة ، حيث يراها هي الأخرى مؤسسة على العلوم اليونانية ، والأدهى من ذلك أن "سانتلاّنا" يجعل ذلك من البدهيات التي لا تحتاج إلى دليل فيقول:" والعلوم الإسلامية مؤسسة منذ بدء نشأتها على علوم اليونان وأفكار اليونان ، بل وعلى أوهام اليونان ، حتى لا يكاد يفهم آراء حكماء الإسلام ، ولا مذاهب قدماء المتكلمين ، ولا بدع المبتدعين ، من لم يكن له بحكمة اليونان معرفة

[1] – المذاهب اليونانية الفلسفية في العالم الإسلامي، دافيد سانتلّانا، ص ٢١، تحقيق وتقديم د/ محمد جلال شرف، نشر دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨١م.

شافية ، لا مجرد إلمام . وهذا لا يحتاج إلى برهان ، بل نعول فيه على العيان "([1])

وهكذا بدافع من العصبية والعنصرية- تجاه كل ما هو إسلامي – لم يترك سانتلانا شيئا لعلماء الإسلام ومفكريه ، بل جعل تفكيرهم أسيرا للفكر اليوناني لا ينفك عنه ، وعلومهم مستعارة منه وليس فيها شيئ من الجدة والأصالة ، ولا يخفى ما في هذا الخطاب الاستشراقي من " تفريغ الإسلام من كل قيمة إيجابية ، وجعله أداة جامدة تقف في سبيل التقدم الإنساني ، وتعوق سيره في الحياة"([2])

٣- يوضح سانتلّانا منهجه في محاضراته وهو الاقتصار على إبراز أهم المذاهب الفلسفية التي أثرت في الفكر العربي، فيقول:" ليس الغرض استيعاب فلسفة اليونان على اختلاف أقاويلها، وتشعب مذاهبها...فالأولى أن نقتصر من المذاهب على أهمها ، ومن الأقاويل على أكثرها تأثيرا في العرب""([3])

وقد ظل سانتلّانا مخلصا لتلك المنهجية على طول محاضراته ، ليصل من خلالها إلى تحقيق هدفه الذي أعلنه مسبقا وهو إظهار تأثير الفلسفة اليونانية في الفلسفة الإسلامية.

---

١ – المرجع السابق ، ص ٢٧

[2] – الإسلام والاستشراق، دكتور محمود زقزوق، ص ٣٣٣

[3] –المذاهب اليونانية الفلسفية في العالم الإسلامي، دافيد سانتلّانا، ص ٢٢

٤- يذكر "سانتلّانا" أن العرب بطبيعتهم بعيدون عن روح التمدن والحضارة ، وأنه لولا احتكاكهم ومخالطتهم للشعوب المتحضرة ما قامت لهم حضارة ، وهذا نص كلامه حيث يقول :" والأشبه أن العرب في صدر الإسلام وابتداء انتشارهم في البلاد المشرقية لم يكن لهم بالعلوم عناية ... لما في طباع الأمم غير المتمدنة من ازدراء العلم وعدم الاكتراث بأهله ، ثم إنهم لما طال مكثهم في الشام ومصر والعراق ، وخالطوا أهلها واختلطوا بهم سارت فيهم حضارة الروم والفرس والصابئة فتمدنوا وتحضروا فأثار ذلك شوقهم إلى حصول العلم ، بقدر ما حصلّوه من التمدن ، فضلا عما تحققوه من الحاجة إلى العلوم في قضاء أوطارهم وعلاج أبدانهم، وتدبير مصالح المسلمين من معرفة الحساب والطب والهندسة والعلوم الحربية ....وتعدادها من العلوم الضرورية للمعاش والسياسة"([1])

وبهذا الادعاء يلغي "سانتلّانا" أيَّ دور للإسلام في الحث على العلم والدعوة إلى التفكير والبحث وسبر أغوار المعارف والأخذ بأسباب الحضارة والتمدن، ويجعل من اتصال المسلمين بغيرهم مع حاجتهم الملحة دافعا لطلب العلوم والاشتغال بها.

[1] – المرجع السابق، ص ١٤٩، ١٥٠

٥- حَرِص سانتلانا في محاضراته – والتي ربت صفحاتها المطبوعة على مائتي صفحة – على مقارنة الفلسفة الإسلامية بأصولها في الفلسفة اليونانية(١)، ليختم بحوثه بسرد لمصنفات الفلاسفة اليونانيين التي تم نقلها إلى العربية ومن ثم هضمها فلاسفة الإسلام الذين اقتصر دورهم في نظره على مجرد نقل التراث اليوناني (٢)

ومن خلال هذا العرض تتضح جناية سانتلّانا على الفلسفة والعلوم الإسلامية ، كما تتضح جنايته على العقلية العربية الإسلامية بصفة عامة عندما يجردها من ملكات التفكير والإبداع.

---

١ – على سبيل المثال: عند تعرض سانتلّانا لتعريف الفلسفة نجده يذكر تعريفها عند أبي نصر الفارابي وابن سينا وصاحب التعريفات وابن خلدون لينتهي من ذلك إلى: اختلاف عباراتهم ورجوعها كلها إلى أصلها عند أرسطو في المقالة الأولى من كتاب ما بعد الطبيعة لأرسطو...انظر المذاهب اليونانية الفلسفية في العالم الإسلامي، دافيد سانتلّانا، ص ٢٧ ، ٢٨

٢ – يراجع : المذاهب اليونانية الفلسفية في العالم الإسلامي، دافيد سانتلّانا ، ص ٢٢٠إلى ٢٢٣، حيث يذكر سانتلانا خلاصة بحثه من خلال سرده لقائمة بأبرز ما نقل من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية ، بداية من فيثاغورث ومرورا بديموقراطيس وسقراط وأفلاطون وجالينوس وغيرهم من فلاسفة اليونان.

المطلب الثاني: موقع دعوى سانتلّانا – عدم أصالة الفلسفة الإسلامية – في الخطاب الاستشراقي

لم يكن سانتلاّنا أول من حاول تجريد العقلية الإسلامية من الإبداع والتفكير، وإنما كان له سلف من المستشرقين ممن يرون أن فلسفة الإسلام وعلومه بعيدة عن الأصالة ولا تعدو كونها تكرارا واجترارا للفلسفة اليونانية.

" وهذه الطائفة تبني آراءها على أساس دعوى عنصرية خطيرة. تشكك في قدرة العقل العربي على التفلسف وترى انه ليس في مقدور العرب أن يتفلسفوا لأنهم من الجنس السامي([1])، وهذا الجنس لا قدرة له على تناول الأمور المجردة بينما شعوب الجنس الآري([2]) –واليونانيون القدماء منهم– هم وحدهم أصحاب المقدرة على ذلك"([3])

وقد تبنى تلك النظرة العنصرية والجائرة نفر غير قليل من المستشرقين والذين حاولوا جاهدين أن يتمحلوا إثبات هذا التقسيم للجنس البشري من أجل نفي ملكات التفكير والإبداع عن الجنس السامي لصلح الجنس الذي ينتمون إليه وهو الجنس الآري ،

---

١ – (السامي) المنسوب إلى سام أحد أولاد نوح عليه السلام يقال جنس سامي و لغة سامية، المعجم الوسيط ٩٩٦/١

٢ – الجنس الآري جنس تجمعه بعض الخصائص اللغوية و الجنسية بعضه في الهند و إيران و بعضه في أوربه ، المعجم الوسيط ٣٢/١

٣ – تاريخ التفكير الفلسفي في الإسلام ، د/ محمد أبو ريان ، ص ١٨ ، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٢م

ومن أبرز هؤلاء المستشرقين "كارل هنيرش بيكر"(١)، و"رينان"(٢)، و"جوتييه"(٣) وغيرهم .(٤)

والنتيجة التي ينتهون إليها وإن اختلفت عباراتهم ومقدماتهم: "هي عجز العقل السامي عن استخلاص القوانين والقضايا ووضع الفروض أو النظريات، ومن ثم فإنه يمتنع على العقلية الإسلامية أن تنتج آراء علمية أو مذاهب فلسفية، وبذلك تكون الفلسفة الإسلامية نوعاً من التكرار للفلسفة اليونانية"(٥)

وقد وقع سانتلّانا أسيرا لتلك النظرة العنصرية التي تجرد العقلية الإسلامية من كل فضل، وتجعل من فلاسفة الإسلام عالة على التفكير الفلسفي اليوناني، وهذا ما حرص في محاضراته

---

١ – كارل هنيرش بيكر: مستشرق ألماني، وسياسي ولد ١٨٧٦م، وتوفي ١٩٣٣، يعد في الطليعة من بين فلاسفة الحضارة والمستشرقين، وقد كان لكتب جولتسيهر أكبر الأثر في تكوينه من ناحية الدراسات المرتبطة بالإسلام،.. موسوعة المستشرقين ، ص ١١٣

٢ – رينان: مستشرق فرنسي، ولد في عام ١٨٢٣م ن وتوفي ١٨٩٢، له آراء صادمة فيما يتعلق بالإسلام وتاريخه وحضارته وفلسفته، من أعماله / مقامات الحريري، إسبانيا الإسلامية، ابن بطوطة ،،..انظر موسوعة المستشرقين ، ص ٣١١إلى ص ٣٢١

٣ – جوتييه : مستشرق فرنسي ، ولد ١٨٦٢ ، وتوفي ١٩٤٩ ، له عناية بالفلسفة الإسلامية ، وقد حقق حي بن يقظان وترجمه إلى الفرنسية ، كما ترجم فصل المقال لابن رشد ، وترجمه إلى الفنسية ، ..موسوعة المستشرقين ،ص ١٩٥ ، ١٩٦

٤ – انظر تاريخ التفكير الفلسفي في الإسلام ، د/ محمد أبو ريان ، ص ١٨–٢٠ ، وانظر : تمهيد لتاريخ الفلسفة، للشيخ مصطفى عبد الرازق، ص ١٠ ، ١١ ، نشر دار الكتاب المصري، ٢٠١١م.

٥ – تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ، د/ أبو ريان ، ص ١٩، ٢٠

علـى إعلانـه والتكلـف فـي تأكيـده والترسـيخ لـه، وهـي ادعـاءات فاسـدة بُنيـت عـل مقـدمات غيـر صـحيحة ، وهـذا مـا أتناولـه فـي المطلب التالي :

المطلب الثالث: نقد ادعاءات سانتلّانا حول الفلسفة والعلوم الإسلامية :

إن المسـئولية تجـاه تـراث الأمـة وتاريخهـا وحضـارتها تقتضـي كشـف مثـل هـذا الخطـاب الاستشـراقي الحـريص علـى تعريـة الأمـة الإسـلامية وعلمائهـا مـن كـل فضـل، وفـي هـذا المطلـب أتنـاول بـالرد والمناقشـة تلـك الـدعاوى التـي طرحهـا سـانتلانا حـول الفلسـفة والعلـوم الإسلامية، وذلك من خلال ما يلي:

أولا: مناقشـة ادعـاءات سـانتلّانا مـن خـلال بيـان أنهـا قائمـة علـى نظرة سطحية قاصرة للفلسفة الإسلامية:

إن تلـك الأفكـار التـي سـردها سـانتلّانا حـول العلاقـة بـين الفلسـفة اليونانيـة والفلسـفة الإسـلامية فضـلا عـن أنهـا تـنم عـن عنصـرية بغيضـة فإنهـا كـذلك تـدل علـى نظـرة قاصـرة للفلسـفة الإسـلامية، ولـو أن سـانتلّانا أعطـى لنفسـه فرصـة يتنـاول فيهـا الفلسـفة الإسـلامية ومـا أنتجـه العقـل المسـلم ، ومـا سـطره مفكـرو الإسـلام الأفـذاذ لأدرك أن علمـاء الإسـلام وإن اشـتغلوا بفلسـفات غيـرهم فـإنهم كـذلك كانـت لهـم فلسـفتهم الخاصـة والفريـدة والتـي كـان للإسـلام أكبـر الأثـر فيهـا، ولكنهـا النظـرة السـطحية القاصـرة والمرتبطـة بالقناعـات المسـبقة التـي تجعـل الباحـث ينظـر بعـين واحدة بعيدا عن الإنصاف الذي يقتضيه المنهج العلمي السديد.

وحول تلك النظرة القاصرة في أفكار "سانتلانا" حول الفلسفة الإسلامية يقول الدكتور محمد جلال شرف :" يجب أن نحذر هنا من الوقوع في الخطأ الشائع لدى الكثير من المفكرين خاصة المستشرقين ، فإنهم يعدمون تقريبا كل أصالة أو فكر إسلامي، ويعتبرون الفلسفة الإسلامية مجرد ذيل للفلسفة اليونانية ، وتلك بعينها هي النتيجة التي ينتهي إليها هنا سانتلّانا ، وهي الناشئة عن نظرة سطحية للفلسفة الإسلامية، وعن النظر إلى الملامح اليونانية خصوصا من حيث المادة والاصطلاحات ، لكن الحقيقة أن المعاني التي قصدها فلاسفة الإسلام لم تكن دائما هي المعاني اليونانية، ولقد أثار كل من متكلمي الإسلام وفلاسفته مشكلات ووصلوا إلى حلول، بل وكونوا مفهومات لم يعرفها اليونان"([1])

وبهذا يظهر أن التفكير الفلسفي في ظل الحضارة الإسلامية لم يكن أسيرا للتفكير الفلسفي اليوناني، فقد كان لمفكري الإسلام وعلمائه آثارهم العلمية والفلسفية الخاصة بهم والمرتبطة بالإسلام.

" ولعل في إنتاج العقلية الإسلامية لعلم الكلام ما يثبت صدق ما نقرره من إبداع الإسلاميين ذلك العلم الذي هو علم التوحيد أو علم أصول الدين ...ونحن لا ننكر أن المتكلمين قد أخذوا في الجزئيات من بعض العقائد الفلسفية والمذاهب الشرقية...ولكن بالرغم من ذلك بقي علم الكلام في جوهره العام–حتى القرن

١ – المذاهب اليونانية الفلسفية في العالم الإسلامي، هامش ص ٢٦

الخامس- إسلاميا بحتا ، كذلك الأمر بالنسبة لعلم أصول الفقه فهو منهج أصولي أو بعبارة أخرى هو منطق الفقيه مقابلا لمنطق الفيلسوف ومنهجه...وفي هذا المجال أنتجت العقلية الفلسفية الإسلامية تفكيرا منطقيا جديدا ،بل وكشفت عن المنهج التجريبي الذي عرفته أوربا بعد ذلك وسارت عليه في طريقها إلى حضارتها الحديثة"([1])

وفي ضوء هذه الحقائق عن أصالة الفكر الإسلامي وجدة علمائه وإبداعهم كيف يسوغ لسانتلّانا أو لغيره من المستشرقين أن يجرد العقلية الإسلامية من أصالتها ومبتكراتها في مجال العلم والفكر؟!

ثانياً: مناقشة ادعاءات سانتلانا من خلال بيان المخالفات المنهجية المتعمدة في دراسته الفلسفة الإسلامية

كثيرا ما يؤكد المستشرقون على المنهجية العلمية وأنهم سدنتها وحملة لوائها والمصدرون لها، لكن عند التحقيق يتضح أن كثيرا من دراساتهم تجاه الإسلام وتراثه وحضارته تتنافي مع المنهج العلمي السديد.

وهذا ما حدث مع "سانتلّانا" في تناوله للفلسفة الإسلامية وتاريخها، وقد كان المنهج العلمي يقتضي من الباحث في تاريخ الفلسفة الإسلامية ونشأتها وتطورها أن يفرق بين تلك المراحل المختلفة والأطوار التي مرت بها، فلكل مرحلة ظروفها

---

١ - المرجع السابق

وخصائصها، أما أن يصدر حكما عاما على الفلسفة الإسلامية دون مراعاة لهذه الأبعاد التاريخية فإن ذلك ما يتجافي ومنطق البحث العلمي.

وحول هذا الخلل المنهجي في تناول الفلسفة الإسلامية يقول دكتور المطعني :" إن الذين يدَّعون أن الفكر الإسلامي مستعار من مصادر أجنبية على نحو ما تقدم خلطوا بين مرحلتين كان الواجب –للأمانة العلمية– أن يفرِّقوا بينهما ، ونعتقد أن هذا الخلط متعمد لكي يتاح لهم تجريد الإسلام من فضائله وخصائصه... كان يجب عليهم أنت يفرِّقوا بين مرحلة النشأة للتفكير الفلسفي وبين مرحلة متأخرة احتك فيها الفكر الإسلامي بغيره ...ففي المرحلة الأولى نشأ الفكر الفلسفي في الإسلام نشأة إسلامية خالصة كان مصدرها القرآن الحكيم بما أثار من قضايا فكرية وعقدية وبما أتاح للعقل من مجالات الفكر والتأمل ،...أما مرحلة الاختلاط وما بعد الترجمة فلا ينكر أحد اشتغال الفلاسفة الإسلاميين بفلسفات غيرهم ولا يعني ذلك أنهم كانوا عالة على غيرهم بل كانت لهم أسسهم الفلسفية الخاصة بهم والتي مصدرها الإسلام نفسه ، ومع هذا فإن انشغالهم بالفلسفات الأجنبية لم يفقدهم أصالتهم قط"([1])

[1] – افتراءات المستشرقين على الإسلام عرض ونقد، د/ عبد العظيم المطعني، ص١٥٩، ١٦٠

ومن خلال تلك المنهجية الفاسدة التي أشار إليها الدكتور المطعني جاءت نتائج "سانتلّانا" حول الفلسفة الإسلامية مجافية للحق، وتحمل في طياتها تحاملا واضحا تجاه الفلسفة والعلوم الإسلامية بصفة عامة، وهو الأمر الذي ينزع عنها صفة العلمية.

ثالثاً: مناقشة ادعاءات سانتلانا من خلال بيان فساد القول بتجريد العقل الإسلامي من ملكات التفكير والإبداع:

إن القول بتجريد العقل العربي والإسلامي عن أصالته وجدته – بناءً على النظرية التي تقسم الجنس البشري وتجعل التفوق والتميز للجنس الآري دون غيره – قول لا يستقيم في ميزان العلم الصحيح، لأنه مبنيٌ على العصبية والعنصرية.

ولهذا يقول الأستاذ العقاد:" يقولون: إنَّ طلب المعرفة لمحض المعرفة مزية من مزايا العقل الأوروبي دون غيره بين عقول الأمم من سائر الأجناس، وإنَّ الأمم من غير الأجناس الأوروبية تطلب العلم لمنفعة، وتهتم بالمعرفة لما تستفيده منها في معاشها، ولا تهتم بها لأنها مطبوعة على التفكير وطلب الحقيقة لذاتها ...ودلائل العصبية العنصرية هنا ظاهرة تكفي لإخراج هذه العلة من عداد العلل العلمية الخالصة لوجه البحث والمعرفة. وقد حدث للأمم الأوروبية أنها حجرت على الفلسفة حين عرضت لها ظروف اجتماعية أو سياسية كالظروف التي سبقتها في الدول الشرقية، فالسبب العنصري هنا قاصر عن تفسير العلة في اختلاف إقبال الأمم على الفلسفة، وإنما ترجع تلك العلة إلى

أسباب واحدة بين الشرق والغرب، وبين الماضي والحاضر كلما تشابهت الظروف على تباعد الأزمنة والجهات"([1])

وهكذا لا يصلح هذا التقسيم العنصري ليقوم دليلا على تفوق جنس على آخر، فضلا عن أن هذا التقسيم قد ثبت عند علماء البيولوجيا بطلانه وفساده

" فقد تمخضت أبحاث علماء الوراثة عن أن وحدة الموروثات في التوائم التي خرجت من بويضة واحدة لا تستلزم وحدة النتائج في اختبارات الذكاء، في حين أن وحدة البيئة الحضارية وظروفها تستلزم ذلك ...وعلى هذا فليس ثمت طبيعة إنسانية واحدة، بل إن موقف الفرد ودوره في المجتمع إنما يتحدد نتيجة لتشابك عوامل البيئة والوراثة معا"([2])

وإذا كان علم الأحياء يكذب هذا التقسيم العنصري، فإن واقع الفلسفة الإسلامية وكذا واقع مفكري الإسلام من المبدعين يكذب هذا التقسيم، وقد نقل الشيخ مصطفى عبد الرازق([3]) قول "دوجا"([4]) ينتقد فيه هذه العنصرية مدافعا عن أصالة الفكر

---

١ – التفكير فريضة إسلامية، محمود عباس العقاد، ص ٥١، نشر مكتبة الأسرة.

٢ – تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، د/ أبو ريان، ص ٢١.

٣ – هو الإمام الأكبر شيخ الأزهر مصطفى بن حسن بن أحمد عبد الرازق، ولد سنة ١٨٨٥، وتوفي ١٩٤٦، من كتبه (تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية – و(الدين والوحى والاسلام، انظر الأعلام للزركلي، ٢٣١/٧.

٤ – دوجا: مستشرق فرنسي ولد عام ١٨٢٤م، وقد عني بتدريس تاريخ وجغرافيا الشعوب الإسلامية، وتوفي ١٨٩٤، انظر موسوعة المستشرقين، ٢٥٣.

الفلسفي في الإسلام بقوله:" فهل يظن ظان أن عقلا كعقل ابن سينا لم ينتج في الفلسفة شيئا طريفا وأنه لم يكن إلا مقلدا لليونان؟ وهل مذاهب المعتزلة والأشعرية ليست إلا ثمارا بديعة أنتجها الجنس العربي؟"([1])

وفي ضوء هذا الكلام نخلص إلى أن تلك النظرية التي تجرد العقل الإسلامي من ملكات التفكير والإبداع إنما هي نظرية فاسدة لا تستند على دليل صحيح، بل إن دلائل العلم والعقل والواقع تشهد ببطلانها.

رابعاً: مناقشة ادعاءات سانتلّانا من خلال فساد القول بأن الإسلام دين يعوق النظر العقلي:

إن من أعجب العجب أن يتهم المسلمون بأنهم بعيدون عن النظر العقلي في حين أن دعوة الإسلام جاءت لتُجِلَّ العقل ولتنزله منزلته التي تليق به ولتحله مكانا ساميا من خلال دعوة المسلمين إلى إعمال العقول والنظر والتأمل والتفكر فيما حولهم.

"وقد نوه الإسلام بالعقل والتعويل عليه في أمور العقيدة والمسئولية والتكليف ، ولا تأتي الإشارة إلى العقل في القرآن الكريم إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه ... كما حطم الإسلام العوائق التي تقف في سبيل تأدية العقل لوظيفته ، فرفض التبعية الفكرية والتقليد الاعمى، وعاب على المشركين تقليدهم الأعمى لأعرافهم متجاهلين في ذلك حكم العقل...كما قضى الإسلام

١ – تمهيد لتاريخ الفلسفة، الشيخ مصطفى عبد الرازق، ص ٢٢.

على الدجل والشعوذة والخرافات والأوهام ..وجعل الأمن على العقل من بين المقاصد الضرورية الأساسية التي قصدت إليها الشريعة الإسلامية لقيام مصالح الدين والدنيا"([1])

وقد فطن المسلمون إلى تلك المعاني التي دعا إليها القرآن الكريم ، و المتعلقة بوجوب النظر والفكر والتأمل فكان نتاج ذلك حضارة إسلامية رائدة وتراث علمي ضخم لا مثيل له عند أمم الدنيا ، في الوقت الذي كانت تلك الأمم تعاني من التخلف والجمود

كما فقه المسلمون " أن ما يميز هذا الدين (المنهج التجريبي العقلي) فقد كان جوهر دعوته ،ومن ثم دعاهم إلى طلب العلم والحرص على تفسير وفهم العالم الطبيعي من خلال منهج تجريبي يبدأ بملاحظة حسية للظواهر والأشياء وقد فهم المسلمون جوهر الرسالة المحمدية جيدا فبرز منهم العلماء في شتى فروع العلم الطبيعي ، كما برز منهم المفكرون والفقهاء والأدباء وهم الذين كان لهم الأثر الكبير في المد الإسلامي وفرض سلطان الإسلام على العالم آنذاك"([2])

وهكذا فإن رسالة الإسلام تقوم في جوهرها على العلم والحث على التفكر وسبر أغوار المعرفة، فكيف يزعم زاعم أن المسلمين بعيدون عن التفكير العلمي أو الفلسفي؟!

---

[1] – انظر: الإسلام والاستشراق ، د/ زقزوق ، ص ٣٣٣ ،٣٣٤

[2] – فلاسفة أيقظوا العالم ، د/ مصطفى النشار، ص١٦ ، نشر دار قباء ، القاهرة.

ونخلص من خلال تلك المناقشات القائمة على حقائق العلم والتاريخ والمنطق والواقع إلى فساد ادعاءات "سانتلّانا" حول الفلسفة الإسلامية، وأن تلك الادعاءات منشؤها العصبية والعنصرية ومن ثم لا قيمة لها في ميزان البحث والعلم .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله وإحسانه تتنزل البركات، وبتوفيقه وهدايته تتحقق الغايات، وبعد، فقد وفقني الله تعالى في هذا البحث للوقوف على أبرز أبرز الشبهات التي أثارها المستشرق الإيطالي دافيد سانتلّانا حول الإسلام، وقد وقفت من خلال الدراسة على بعض النتائج والتوصيات على النحو التالي:

١- يعد المستشرق الإيطالي دافيد سانتلانا واحداً من كبار المستشرقين المؤثرين في حقل الدراسات الإسلامية.

٢- من مجالات التراث الإسلامي التي وجه سانتلانا جهوده نحوها مجال الفقه الإسلامي ومجال الفلسفة الإسلامية، وقد انتهت دراساته في الجانبين إلى القول بعدم أصالة الفقه الإسلامي وكذا الفلسفة الإسلامية.

٣- من أجل ترسيخه لفكرة استمداد الشريعة الإسلامية من القانون الروماني راح سانتلّانا في كتابه نظم الشريعة الإسلامية يرتب الفقه على حسب القانون الروماني ومبادئه ضاربا بترتيب فقهاء المسلمين عرض الحائط.

٤- لم يكن سانتلّانا بدعا في دعواه تأثر الشريعة الإسلامية بالقانون الروماني، وكذا تأثر الفلسفة الإسلامية بالفلسفة اليونانية بل يكاد يكون القول بعدم أصالة الفقه والإسلامي والفلسفة الإسلامية أمرا بارزا في الخطاب الاستشراقي بصفة عامة.

٥- حاول سانتلّانا ومن نحا نحوه من المستشرقين تغليف دراساتهم حول الفقه الإسلامي وكذا الفلسفة الإسلامية بطابع البحث العلمي، ومن ثمّ فقد أوردوا حججا تؤيد دعاواهم، ولكن عند النظر يتضح أنها لا تثبت أمام النقد العلمي، لأنها لا تستند إلى أصل صحيح.

التوصيات:

١- يوصي الباحث بالعمل على رصد شبهات الخطاب الاستشراقي والرد عليها بما يدحضها، وذلك من خلال الدراسات والبحوث المتخصصة والندوات والمؤتمرات.

٢- في ظل انتشار الشبهات حول الإسلام ودعوته يوصي الباحث بتدريس مادة الشبهات وكيفية الرد عليها لطلاب قسم الدعوة، حتى يتم تدريب الطلاب على كيفية الرد على الشبهات وتفنيدها.

مصادر البحث

١-أصالة الفقه الإسلامي بين الحقيقة والافتراء، د/ أحمد يوسف سليمان، بحث منشور على موقع الألوكة، على الرابط/ /https://www.alukah.net/sharia/0/32622

٢-افتراءات المستشرقين على الإسلام عرض ونقض، دكتور عبد العظيم المطعني، نشر مكتبة وهبة، الطبعة الأولى ،١٩٩٢م

٣-الاستشراق والمستشرقون، مالهم وما عليهم، دكتور مصطفى السباعي، دار الوراق للنشر والتوزيع – المكتب الإسلامي.

٤-الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء، د/محمد عمارة، نشر دار الشروق.

٥-الإسلام والاستشراق، دكتور محمود حمدي زقزوق ، نشر دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى ٢٠١٤م

٦-التفكير فريضة إسلامية، محمود عباس العقاد، ، نشر مكتبة الأسرة .

٧-القانون المدني والتجاري التونسي، دافيد سانتلّانا، تونس ١٨٩٩،

٨-القانون والمجتمع ، دافيد سانتلّانا ، ضمن كتاب تراث الإسلام ، إشراف سير توماس آرنولد ، ترجمة جرجيس فتح الله ، بيروت ١٩٧٢م

٩-المدخل إلى علم الدعوة ، د محمد أبو الفتح/البيانوني ، نشر مؤسسة الرسالة ، بيروت.

١٠-المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، نشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ،الطبعة الثالثة ١٩٩٥م.

١١-المذاهب اليونانية الفلسفية في العالم الإسلامي، دافيد سانتلّانا، تحقيق وتقديم د/ محمد جلال شرف، نشر دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨١م.

١٢-الوجيز في الحقوق الرومية وتاريخها، دكتور محمد معروف الدواليبي، نشر مكتبة الشرق، حلب، ١٩٦٣م.

١٣-تاريخ التفكير الفلسفي في الإسلام ، د/ محمد أبو ريان ، ، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٢م

١٤- تمهيد لتاريخ الفلسفة، الشيخ مصطفى عبد الرازق، نشر دار الكتاب المصري، ٢٠١١م.

١٥- روح الدين الإسلامي، لعفيف الدين طبارة، دار العلم للملايين; سنة النشر: ١٩٩٣

١٦- شريعة القرآن من دلائل إعجازه، الشيخ محمد أبو زهرة، إصدار هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف، عدد شوال ١٤٣٦هـ

١٧- فلاسفة أيقظوا العالم، د/ مصطفى النشار ، نشر دار قباء ،

القاهرة

١٨-مفاتيح الغيب . للإمام : محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازى ، نشر : دار إحياء التراث العربى . بيروت

١٩- موسوعة المستشرقين، دكتور عبد الرحمن بدوي ، نشر دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣م.

٢٠-نظرات في علاقات الفقه الإسلامي بالقانون الرومي، نالينو ، محاضرة ألقيت في المؤتمر الدولي في القانون الروماني في روما ١٩٣٢م، وهي منشورة ضمن مجموعة من البحوث تحت عنوان: هل للقانون الرومي تأثير على الفقه الإسلامي، نشر دار البحوث العلمية، ١٩٧٣م

٢١-نظم الشريعة الإسلامية بحسب مذهب مالك مع مراعاة مذهب الشافعي، سانتلّانا روما ١٩٢٦م.

المراجع الأجنبية

22-David Santillana, acteur et penseur des droits musulman et européen- Florence Renucci Monde (s) 2015/1 (N ° 7 : على الرابط ، https://www.cairn.info/revue-mondes-2015-1-page-25.htm#

23-di Bruna Soravia - Dizionario Biografico degli Italiani - Volume 90 (2017 : على الرابط)، https://www.treccani.it/enciclopedia/david-santillana_(Dizionario-Biografico

فهرس الموضوعات

مقدمة.....١٧٩
التمهيد.....١٨٩
المبحث الأول: شبهات سانتلّانا حول الشريعة الإسلامية:.....١٩١
المطلب الأول : دعوى سانتلّانا تأثير القانون الروماني في التشريع الإسلامي.....١٩٣
المطلب الثاني: موقع دعوى سانتلّانا –حول التشريع الإسلامي– في الخطاب الاستشراقي:–.....**١٩٩**
المطلب الثالث: الحجج التي أسس سانتلّانا عليها دعوى تأثير القانون الروماني في التشريع الإسلامي:.....٢٠٣
المطلب الرابع: نقد دعوى سانتلّانا تأثير القانون الروماني في التشريع الإسلامي:.....٢٠٦
المبحث الثاني: شبهات سانتلّانا حول الفلسفة والعلوم الإسلامية: ...٢٢١
المطلب الأول: ادعاءات سانتلّانا حول الفلسفة والعلوم الإسلامية:..٢٢٣
المطلب الثاني : موقع دعوى سانتلّانا – عدم أصالة الفلسفة الإسلامية – في الخطاب الاستشراقي.....٢٢٨
المطلب الثالث: نقد ادعاءات سانتلّانا حول الفلسفة والعلوم الإسلامية:.....٢٣٠
الخاتمة ٢٣٩
مصادر البحث.....٢٤١
فهرس الموضوعات.....٢٤٥